كيف يحبك الله

فوزي محمد أبو زيد
مدير عام بالتربية والتعليم بطنطا
ورئيس الجمعية العامة للدعوة إلى الله
بجمهورية مصر العربية

دار الإيمان والحياة

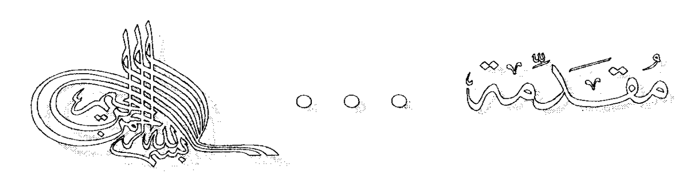


الطبعة الأولى

الخامس من ربيع الأول ١٤٢٧ هـ
الموافق الثالث من إبريل ٢٠٠٦ م

رقم الإيداع : 7396 / 2006
الترقيم الدولي I.S.B.N. : 977-17-3158-0

طبع في : دار نوبار للطباعة



مُقَدِّمَة . . .

الحمد لله الذي انفرد بجميل النعوت ، وكمال الصفات ، وتنزل من علياءه فظهر للخلق في آلائه ونعمائه ، فهو الظاهر الذي يخفى على قلوب المقربين ، والباطن الذي يلوح لأبصار الموقنين ....

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ (الآية ٣) الحديد

والصلاة والسلام على مصباح الظلام ، وبدر التمام ، ومشكاة الأجسام ، سيدنا محمد كاشف دياجير الدجى ، ومفتاح الخير الخاص والعام للمؤمنين وجميع الأنام ، صلى الله عليه ، وعلى آله البررة ، وأصحابه ورّاث الهدى ورجال الختام ، وكل من دعا بدعوته إلى يوم الزحام......

وبعد

يشتاق أهل الإيمان ، ويتوق أهل الإحسان ، ويتلهف أهل الإيقان إلى القرب من حضرة الله ، يحدوهم الأمل ، ويسوقهم الطمع أن ينالوا بفضله ومنّه نظرة من جمال بهاه ، أو أن يمنَّ عليهم بوصله ، ويكشف لهم عن جمال سناه ، أو يُحلَّ عليهم رضوانه الأعظم ، فينالوا به قربه ورضاه.....

ولما رأى الحق عزَّ شأنه أشواق المحبين ، ولهفة المشتاقين ، وحنين الأوابين ، فتح الباب لأوليائه ، وكاشفهم بمضنون خزائن عطائه ، وواجههم بسرّ ديمومته وبقائـــه ، فلما كاشفهم به طاشوا ، فواجههم بمضنون ســـرِّه ؛ فبه عاشـــوا ، وعن وصف هذه

الأحوال يقول الإمام أبو العزائم ﷺ :

والعارف الفرد محبوبٌ لخالقه	فات المقامات تحقيقاً و تمكينا
في كل نفس له نور يواجهه	من حضرة الحق ترويحاً و تيقينا
يمشي على الأرض في ذل ومسكنة	هام الملائك شوقاً فيه و حنيناً
معناه غيب و مبناه مشاهدة	والفرد معنى وليس الفرد تكويناً
لا يعرفُ الفرد إلا ذو مواجهة	صفا فصوفي فاحيا النهج والدينا

فلما رأينا ...حيرة المريدين في المنهج السديد الذي يسلكونه لينالوا محبة الله ورضاه ، قرَّرنا لهم هذه الحقيقة ، بحسب ما ورد في أصول الشريعة ، ومـــا لاح لأهل القرب في أنوار الحقيقة.

وغاية ما في الأمر :

أن السالك لكي ينال محبَّة الله ؛ يلزمه :

۞ أن ينشغل باله بالكلّية بمولاه .

۞ ۞ ويتحرى الصدق في متابعته لحبيب الله ومصطفاه .

۞ ۞ ۞ والإخلاص في توجهه ونواياه في كل عمل يعمله لحضرة الله .

۞ ۞ ۞ ۞ وأن يسوق نفسه بالعلم الرشيد ، والعزم الأكيد ، والصبر المديد ، حتى تلحظه عناية الحميد المجيد ؛ فيتحقق بقوله سبحانه :

﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (الآية ٣٧ ق)

وقد بنينا هذا الكتاب على :

۞ توضيح الصفات والأخلاق ، التى مَنْ تجمّل بها أحبَّه الله .

۞ ۞ وكذلك الأعمال والأفعال التى من قام بها نال محبَّـــــــة الله .

۞ ۞ ۞ هذا بالإضافة إلى السنن والنوافل التى داوم عليها حبيب الله ومصطفاه ، وكان عليها الصالحون من عبـــــاد الله ، والتى إذا واظب عليها العبد ...... فإنها تستجلب له محبَّة الله .

وقد تناولنا هذه الموضوعات في جلسات روحانية ، كانت عامرة بأهل الصفاء والنقاء ، وقد ركَّزنا فيها على :

۞ توضيح الآيات التي اخبر الرحمن أنه يحبُّ أهلها والمتجملين بنعوتها ، كقوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ (البقرة)

۞ ۞ وكذا الأحاديث التى تبين الأحوال التى يطلبها الله عز وجل من خلقه لينالوا رضاه ، كقوله عز شأنه في حديثه القدسي :

{ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشيء أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عليهِ ، ومَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كنتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا ، ورِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، ولَئِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي أَعْطَيْتُهُ ، ولَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نفسِ المؤمنِ ، يكرهُ الموتَ وأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ }[1].

---
[1] رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن عثمانَ بن كَرَامَة .

والله أسأل أن ينفع بها من حضرها ، أو قرأها ، أو سمعها .
ربنا آتنا ما وعدتنا ....، وهب لنا ما قدَّرته لنا من الفتح والتقريب ...... إنك لا تخلف الميعاد .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾
(الآية (١٠) سورة الكهف)

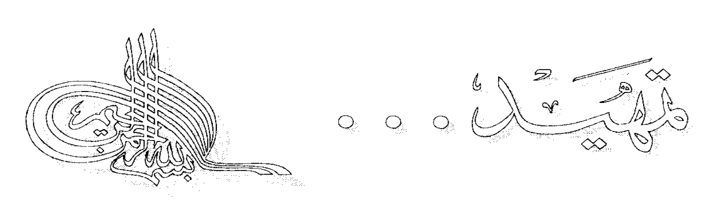
وصلى الله على سيدنا محمد ، سر كنوز العناية ، وشموس الرعاية ، وعلى آله وصحبه وسلم .

٢من ذي القعدة ١٤٢٦هـــ ، الموافق ٤ من ديسمبر ٢٠٠٥م



: الجميزة ـــ محافظة الغربيـــة .
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
: الموقع على شبكة الإنترنـــت
WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكتروني E-mail :
fawzy@Fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com



تمهيد . . .

أخبر الله عزّ وجلّ . . . .

في كتابه العزيز عن قوم اصطفاهم من بين خلقه ، وقال في شأنهم :

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (الآية ٥٤ المائدة)

هؤلاء القوم مهما رأت العين ، أو سمعت الأذن عن حبٍّ أحد لأحد، فلن تبلغ عشر معشار محبتهم للواحد الأحد، ولذلك قال الله عزّ وجلّ في شأنهم:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (الآية ١٦٥ سورة البقرة)

ولذلك تراهم :. . . . . .أولا . . . . . . :

يسارعون إلى التجمّل بالأوصاف التي أخبر الله أنه يحبّ أهلها . .، لينالوا محبّته عزّ وجلّ . . :

۞ فتراهم يتجملون بأوصاف المحسنين التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه كإحسان العمل ، والإنفاق في السراء والضراء ، وكظم الغيظ ، والعفو عن النـــاس ، والصفح الجميل ، طمعاً أن يدخلوا في مقام محبَّته للمحسنين . . . .

وذلك في قوله عزّ شأنه :

﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ سورة البقرة

وقوله سبحانه في سورة آل عمران :

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٣٤) ﴾

وقوله تبارك وتعالى في سورة المائدة :

﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

وقوله تبارك وتعالى في الآية (٩٣) سورة المائدة :

﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

☼ وكذلك نجدهم يحرصون على الوفاء بالعهد والاستقامة ، لأن الله عز وجل ذكر أن من فعل ذلك يكون من المتقين الذين يحبهم الله ...

وذلك في قوله سبحانه في الآية (٧٦) سورة آل عمران :

﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾

وقوله سبحانه في الآية (٤) سورة التوبة :

﴿ فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾

وقوله تعالى :

﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (الآية (٧) سورة التوبة)

ثم هم يحرصون على القسط – أي العدل– في كل أحوالهم ، وفي جميع أحكامهم ، وحكوماتهم ، لأن الله عز وجل أخبر أنه يحب المقسطين .....

وذلك في قوله عز شأنه :

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الآية (٤٢) سورة المائدة)

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (الآية (٩) سورة الحجرات)

وقوله عز شأنه وجل سلطانه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (الآية (٨) سورة الممتحنة)

وأيضاً يجدّدون التوبة دائماً ، ويحسنون التّطهر ظاهراً وباطناً ، لأن من يفعل ذلك يفز بمقام المحبوبية ، المشار إليه في قوله سبحانه في (الآية (٢٢٢) سورة البقرة) :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

وقوله تبارك وتعالى في (الآية (١٠٨) سورة التوبة) :

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾

☼ ويستعينون بالصبر عند نزول البلاء ..، وعند ملاقاة الأعداء .. لقوله تعالى في الآية (١٤٦) سورة آل عمران :

﴿ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

وقوله عز شأنه وجل سلطانه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ الآية (٤) الصف

☼ ويتوكلون على الله في كل شأن ، لأنه سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران] .

..................ثانيا....................:

بينما نجد هؤلاء القوم يفرون من الأوصاف التي ذكرها **الله سبحانه وتعالى** في كتابه ، وأخبر عقبها أنه لا يحب فاعليها ......:

☼ فيفرُّون من الكفر ، والكافرين ، لأن الله عز وجل ....

قال في شأنهم في سورة آل عمران :

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

وقال أيضاً :

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة الروم]

۞ ويبتعدون عن الظلم ، والظالمين ، لأن الله عز وجل شنّع على الظالمين ، وأخبر أنه لا يحبهم : فقال :

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ سورة آل عمران

وقال أيضاً :

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة الشورى

۞ ويتجنبون الإسراف في الأموال ، والأقوال ، والأفعال ، لأن الله نهى عن الإسراف ، وأعلن أنه لا يحبُّ المسرفين ، وذلك في قوله عز شأنه في الأعراف :

﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

۞ ويحرصون على الإصلاح في الأرض ، وتجنب الفساد والمفسدين ، خوفاً من سوء العاقبة التي توعَّد بها الله عز شأنه المفسدين ، حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة المائدة

ويقول أيضاً جلَّ في علاه :

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ سورة البقرة

۞ كما يتنزهون عن الفخر ، والخيلاء ، الذي رأوا بغض الله عز وجل لفاعليه ، في قوله سبحانه وتعالى في سورة النساء :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾

وقوله عزَّ شأنه :

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة لقمان

وهكذا ....:

۞ يتتبعون الآيات التى فيها كلمة "يحبُّ" لينظروا ماذا يحبُّ سبحانه ، فيسارعوا إلى فعله والتجمُّل به .

۞ وكذلك يحصون الآيات التى فيها كلمة "لا يحبُّ" ليسارعوا للفرار من أحوال أهلها ، وتجنُّب أوصافهم ، والابتعاد عن أخلاقهم .

.... ثالثا......: ..ثمَّ هؤلاء القوم ..لشدة تعلقهم بالذات العليّة ، وانشغالهم بها بالكلّية ، تجدهم يبحثون فى الأحاديث النبويَّة عن الأعمال ، والأحوال ، والأوصاف ، التى تستوجب لفاعليها محبة **الله عزَّ وجلَّ** ؛ ليتجمَّلوا بها ..؛ فيحبُّهم **الله عزَّ وجلَّ** لأجلها ......

وذلك كقوله صلى الله عليه وسلم :

{ *إذا أحبَّ اللهُ عبداً اقتناه لنفسه، ولم يشغلْهُ بزوجةٍ ولا ولدٍ* }[٢]

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية والديلمى عن ابن مسعود.

وقوله صلى الله عليه وسلم :

{ إذا أحبَّ اللهُ عبداً ابتلاه، وإذا أحبَّه الحُبَّ البالغَ اقتناه لا يترك لهُ مالاً ولا ولد }[٣]

ولما كان الحبُّ من العبد إلى ربه يعني الميل القلبي والتعلق الفؤادي ، وما يصحب ذلك من أحوال يترقى فيها العبد في حبه وقربه من ربه كالشوق والعشق والهيام واللوعة والغرام والإصطلام ، وذلك ينتفي في حقّ الله عز وجل نحو عبده ، وإنما كان حب الله عز وجل لعبده يعني الإرادة ، إرادة الخير والفضل والتوفيق ، والحسنى وكل المعاني الجميلة ، والخيرات الباقية ، والفتوحات السامية .

لذلك نجد هؤلاء القوم الكرام تعلقوا أيضاً بالأحاديث النبوية التي تبين ما يريد الله من أحبابه، وما يريده الله عز وجل لهم كقوله صلى الله عليه وسلم :

{ إذا أرادَ اللهُ بعبده خيْراً فقَّههُ في الدِّين وألهمَهُ رُشْدَه }[٤]

وقوله صلى الله عليه وسلم :

{ إذا أرادَ اللهُ بعبْدٍ خيْراً فقَّههُ في الدِّين وزهَّدَهُ في الدنيا وبصَّرَهُ عيُوبَه }[٥]

وقوله صلى الله عليه وسلم :

{ إذا أرادَ اللهُ بعبْدٍ خيْراً استعْمَلَهُ قبْلَ موْتِه، قيلَ: وما استِعْمَالُهُ؟ قال: يهْديه إلى العملِ الصَّالِح قبْلَ موْتِهِ ثم يقْبضُهُ عليَ ذلك }[٦]

---

(٣) رواه الطبراني في الكبير عن أبي عتبة الخولاني.
(٤) رواه الترمذي عن ابن عباس وابن مسعود.
(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان والديلمي عن أنس.
(٦) رواه أحمد في المسند عن عمرو بن الحمق.

وقوله ﷺ :

{ إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه }[٧]

وقوله ﷺ :

{ إذا أرادَ اللهُ بعبدْ خيْراً صيّرَ حوائجَ النّاسِ إليه }[٨]

وقوله ﷺ :

{ إذا أرادَ اللهُ بعبْدٍ خيْراً رضّاه بما قسَمَ له وباركَ لهُ فيه }[٩]

وقوله ﷺ :

{ إذا أرادَ اللهُ بأهل بيْتٍ خيراً فقّههَم في الدين، ووقّرَ صغيرُهم كبيرَهم، ورزقهم الرّفقَ في معيشتهم، والقصْدَ في نفقاتهم، وبصّرَهم عيوبَهم فيتوبوا منها }[١٠]

وما أصدق قول القائل في وصف هؤلاء القوم :

قوم همومهم بالله قد علقت	فما لهم همم تسمو إلى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم	يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إن تنازعهم دنيا و لا شرف	من المطاعم و اللذات و الولد
و لا للبس ثياب فائق انق	و لا لروح سرور حلّ في بلد

---

(٧) رواه الديلمي عن أم سلمة.
(٨) رواه الديلي عن أنس.
(٩) رواه الديلمي عن أبي هريرة.
(١٠) الدار القطني في الأفراد وابن عساكر في تاريخه عن أنس.

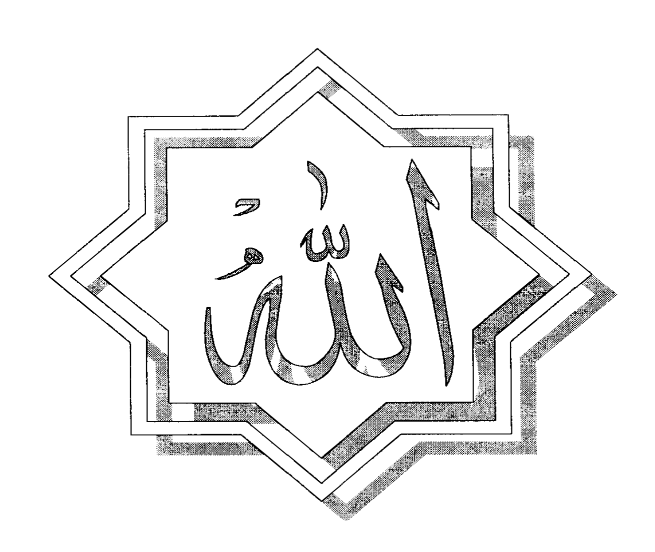
إلا مسارعة في أثر منزلة ... قد قارب الخطو فيها باعد الأبد

فهم رهائن غدران و أودية ... و في الشوامخ تلقاهم مع العدد

وها نحن نأخذ في شرح بعض ما ورد في أوصاف أهل المحبة ، لخيـــار الأحبـــة ، على حسب ما يفتح به الله عز وجل ......

لعلنا نُكرم بمعيتهـــــــم ....

أو نتابعهم في محبتهـــــــم ......، أو نلحق بهم في إرادهـــــــم .



﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ
بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ
وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾

الفَصْلُ الأَوَّلُ

المنهجُ الذي يُوصِّلُ العبدَ لِحُبِّ اللهِ لَهُ (*)

- الفرائض المفترضات .
- الأعـــذار الشرعيـــة .
- حكم السنن اللواحق مع الفرائض .
- نـــوافل القُـــــرب :

أولا : صلاة الوتر .

ثانيا : قيام الليل نور وشفاء .

* إعجاز طبي في حديث عليكم بقيام الليل * رجال الليل.

ثالثـــاً : سبحة الضـحى رابعـــاً : دوام ذكـــر الله

خامســاً : الصيام المسنون سادســاً : صدقة التطوع

سابعــاً : تــلاوة القـــرآن ثامنــاً : الحـــج قربـــة

- بشائر المتحابين .

(*) كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ٨ من شوال ١٤٢٦هـ الموافق ١٠ من نوفمبر ٢٠٠٥م بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي بعد صلاة العشاء.

بسم الله الرحمن الرحيم .... الحمد لله ...

الذي فتح لنا ولأحبابه أبواب القرب والمناجاة ، وهيّأ أجسامنا لخدمته ، وألان جوارحنا لطاعته ، وملأ قلوبنا بخالص محبته ، وهيم أرواحنا في قدس جلال حضرته .

والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين ، وسر الهداة والمتقين ، وأسوة العارفين والصالحين ، سيدنا محمد وآله الغر الميامين ، وصحبه المباركين ، وكل من عمل بهديه ومشى على نهجه إلى يوم الدين ، وعلينا معهم أجمعين ....

آمين آمين يا رب العالمين .

وبعد ...... إخواني وأحبابي ......

إن أجمل ما يتعلق به عامل لله ، وأسمى غاية يتجه إليها عارف لمولاه ، هي أن يحبه الله عز وجل ، وكلنا بلا استثناء ؛ نتمنى ونشتاق ، ونريد أن يكرمنا الله عز وجل فيحبنا ، ويكشف لنا في أنفسنا أو في غيرنا الدليل على محبته ، وكلنا نطمع أن ندخل في قول الله :

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (الآية ٥٤ سورة المائدة)

فحبُّه سابق ، وحبُّنا لاحق ، ولولا حبُّه لنا ما أحببناه ، ولولا إعانته لنا ، ما عبدناه ، ولولا توفيقه لنا ما سلكنا طريق الهداة ، ولذلك طلب منا أن نقول في كل ركعة من ركعات الصلاة :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (سورة الفاتحة)

فإذا لم يوفق الله ويعين ، فماذا يفعل العبد في طاعته وعبادته لربِّ العالمين .

وقد عبد إبليس حضرة الله اثنين وسبعين ألف سنة ، حتى أخبر الحبيب صلى الله عليه وسلم أنه ليس في السماء موضع أربعة أصابع ..!!....إلا ولإبليس فيه سجدة لله عز وجل ..!!!

ولكنه في لحظة ....:...اعتقد أن هذه العبادة من نفسه ، وبجهده ، ونسى عون ربه ، وحول ربّه ، وقوة ربه ؛ ...فكان جزاؤه :

﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الآية ١٨) الأعراف

ونحن جميعاً نريد أن ندخل في محبة **الله**

وأهل محبة الله عز وجل ، يتولاهم الله بولايته ، ويمدهم بإمداد عنايته ، ويجعلهم دوماً تحت رعايته :.... لأن الله عز وجل آلى على نفسه أن يكون هو حسبهم ، وهو كفيلهم ، وهو وكيلهم عز وجل .....

إذن كيف يحبك الله ؟

هذا هو السؤال.... ؟؟؟

والإجابة :

نقرأها في أحاديث الله القدسية ، التي أعلمنا بها خير البرية صلى الله عليه وسلم – ....ما المنهج الذي يوصل العبد إلى أن يحبه الله ؟

وقد قال في شأن ذلك الحب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ وَإِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبٌ }[1]

لماذا ؟.......لأن الله سيحفظه من الذنب ، والعصمة للأنبياء ، والحفظ للأولياء ، والزلل والضلال والعياذ بالله للأشقياء .

والله عز وجل تولى الإجابة بذاته :

ليُعرِّف البسيطة كلها الطريق إلى محبة الله ، فقال عز شأنه في الحديث القدسي الصحيح الوارد في الروايات الكثيرة في صحيحي البخاري ومسلم :

((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عليهِ ، وما يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنوافلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا ، ورِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، ولَئِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي أَعْطَيْتُهُ ، ولَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ))

الحديث طويل ، وقائله هو ربُّ العزة عز شأنه ..

هذا الحديث يوضح :

منهج الصالحين ، السابقين ، والمعاصرين ، واللاحقين ، الذي ساروا عليه حتى نالوا محبة ربِّ العالمين ، وفيه المنهج الكامل بعد التوضيح والبيان.

---

(1) القشيري في الرسالة وابنُ النَّجَّار عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، و أوله ((التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ ،وإذا...)).

الفرائض المفترضات

فأحب ما يتقرَّب العبد به إلى ربِّه ، هو الفرائض المفترضات ، لذلك فـإن سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال يا رسول الله :

{ أيُّ العَمَلِ أفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا } [2]

فأهم ركن ، وأول ركن في منهج القرب من الله ، ونيل محبة الله :

الصلاة لوقتها ......:

﴿ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ (الآية ٢٣٨ سورة البقرة)

وقانتين يعني عابدين ، ولكن بعد المحافظة على الصلاة ، وأي زيادة في العبادات ، وفي الأعمال الصالحات ، لا تصحُّ ولا تجوز إلا بعد إحكام الأسـاس الأول ، وهـو المحافظة على الفرائض في وقتها .

والمحافظة على الصلاة تعني :

أن العبد يتجهَّز ، ويتأهل للصلاة ، وينتظر الآذان في بيت مـولاه عز وجل ، ولا ينتظر حتى يؤذِّن المؤذن ، ويذهب ، لأنه بذلك سيذهب غير متأهل ؟ ولذلك تجد جلَّ الصالحين ، لا يؤذن عليهم الآذان إلا وهم في بيت الله ، مترقبين الـصلاة ...، وقد قال صلى الله عليه وسلم :

---

[2] رواه مسلم ، و تمامه((قالَ قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْن» قالَ قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قالَ: «الجِهَادُ في سَبِيلِ الله» فمَا تَرَكْتُ أستَزِيدُهُ إلاَّ إرْعَاءً عَلَيْهِ)) .

{ لاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ لاَ يَمْنَعَهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ انْتِظَارُ الصَّلاَةِ }[٣]

لماذا...؟

لأنني إذا تكلمت مع فلان أو فلان ، وأذن المؤذن ، سأذهب وأنا مشغول بما قيل ، وأفكر فيما أقول ، فكيف إذاً يكون شكل هذه الصلاة ؟

لكنني قبل الصلاة :

يجب عليَّ أن أقطع كل الشواغل الكونية ، وكل المشاغل الدنيوية ، وأتطهَّر ظاهراً وباطناً ، وأذهب إلى بيت ربي ، وأشغل الدقائق المتبقية بذكر الله ، والاستغفار لله أو بتلاوة كتاب الله ، أو بالصلاة والتسليم على سيدنا رسول الله .

فيتجهز القلب للقاء مولاه والمناجاة ، وهذه هي صلاة الأوابين، إذن لا بد وأن يجهز نفسه قبل الصلاة ، وكان يقول في ذلك الإمام سعيد بن المسيب ﷺ : "بقي لي أربعين عاماً ما أذن عليَّ المؤذن إلا وأنا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ..، فسألوه من الذي كان يصلي بجوارك ؟ ..قال....:

" بقي لي أربعون عاما أصلي ، وما حدثت نفسي يوماً بمن على يميني ولا من على شمالي " ، ....وذلك لأنه مشغول بالله .

قبلة .. العارفين .. حال.. الصلاة	وجه مولى منزهاً عن جهات
وهموا .. قبلة .. له.. إذ. يصلي	بجنان .... عليهموا .. للنجاة
فصلاة... له... ومنه .. عليهم	أخرجتهم فضلاً من الظلمات

---

(٣) عن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ فى جامع الأحاديث و المراسيل .

وهذا وصف مولانا الإمام أبو العزائم لصلاة العارفين .

إذاً الفرائض في وقتها ، وخاصة الصلاة الشهودية ، التي قال فيها ربُّ البرية :

﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾

الآية (٧٨) سورة الإسراء

إنما صلاة شهود وجه الله ، وشهود أنوار حبيبه ومصطفاه ، وشهود كنوز فضل الله ، وشهود خزن عطاءات الله وهي تفتح لعباد الله ، لأنه وقت توزيع الأرزاق الحِسِّيَّة والمعنويَّة على الصالحين من عباد الله ، ويكفي فيها قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :

{ *من صلى لله أربعين يوماً في جماعةٍ يدرك التكبيرةَ الأولى ، كُتِبَ لَهُ براءتَان: بَرَاءَةٌ مِنْ النَّارِ ، وبراءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ* } وفى رواية ((*من صلّى الفجرَ في جماعة ..*)) .

وهذا تعهُّد من الحبيب المحبوب صلى الله عليه وسلم ، وقد كنا في رمضان محافظين على الفجر في وقته ، وفي الأعمال كان أغلبنا يتوضأ ويتجهز قبل آذان الظهر لكي يصلي الظهر ، وكنا محافظين على المواعيد ..!! لماذا كان ذلك في رمضان فقط ؟

نحن يا أحباب لسنا رمضانيين – أي موسميين – ومن معه عقد موسمي فليس له شيء عند الله عز وجل ، فرمضان كشعبان وشوال بالنسبة لفرائض الله عز وجل لأن ذلك هو باب الفتح الأعظم من الله للصَّالحين من عباد الله .

فيلزم أن نحافظ على الفرائض في وقتها ، والفرائض كما وضَّحت ؛ يلزم أن يتجهز لها المؤمن قبل الآذان .

---

(٤) سنن الترمذى عن أنس بن مالكٍ رضى الله عنه.

الأعذار الشرعية

وليس هناك عذر طوعي يمنعه من أداء الصلاة في وقتها يقدمه لربه ويقبله ربه ، إلا إذا كان مسافراً سفراً شرعيا ضروريا ، فله أن يقدم أو يؤخر ، أو إذا كان مريضاً منعه الطبيب المسلم من مغادرة فراشه .

ومعنى السفر الشرعي : هو أن يكون مسافراً إلى العمرة ، أو إلى الحج ، أو لطلب العلم ، أو لزيارة مريض ، أو لحضور جنازة مسلم ، أو لبر الوالدين ، هذه هي الأسفار الشرعية .

لكن لو كان هناك من يسافر للمصيف ، فلا عذر له أن يؤخر الصلاة عن وقتها ، أو يسافر لحضور مباراة ، فإن ذلك ليس بعذر شرعي ، لأنه يلزم أن يكون عذر شرعي تقره الشريعة ، فالأعذار يجب أن تكون من لائحة الأعذار ، التي وضعها النبي المختار ، ويقبلها العزيز الغفار عز وجل .

ولا يلتمس أحد من نفسه لنفسه الأعذار ، لأن هذه مصيبة المسلمين في هذا العصر ، فمثلا إذا زارني صديق ، أو إذا كنت أزور صديقا وحان وقت الصلاة ، ما عليَّ وما عليه إذا قلت له : يا أخي هيا بنا نصلي ! ، ثم نتم الحديث بعد الصلاة ؟.

وإذا استحييت أن أقول له ذلك ؛ فإن هذا حياء لا يحبه الله ، ويبغضه سيدنا رسول الله ، لأنه ليس بعذر ، وحتى لو كان على غير ديني – أي غير مسلم – وحان وقت الصلاة ، فيجب أن أظهر له تعظيمي لشعائر ديني ، فأقول : بعد إذنك سأصلي ! ، ثم آتي لأكمل معك الحديث ، فإنه بذلك سيحترمني ويعظمني عندما يجدني أعظم شعائر ديني ... لكن هل من الأعذار : ..أن أتكلم مع واحد في بيتي ، أو على مقهى ، والآذان يؤذن ولا ألبي الآذان؟.....كلا، فإن هذا ليس بعذر .!!!!!!

إذا كان الحبيب صلى الله عليه وسلم ...، تقول في شأنه السيدة عائشة رضي الله عنها : كان صلى الله عليه وسلم ...يجلس معنا ، يحدثنا ونحدثه ، فإذا حان وقت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه .

فهذا فعله حتى مع أولاده وأهله ، لأنه عند الآذان يلبي الآذان ، ويجب علينا جميعاً أن ندرِّب أولادنا على ذلك ، فإذا أذَّن المؤذن أقول لمن يتكلم منهم : إنتظر يا بني ولبِّ الآذان ! . فإذا لم نعلّمهم نحن ؟ فمن إذاً الذي سيعلمهم ؟

وإذ اتصل بي واحد بالتليفون عند الآذان ؟ فإن مثل ذلك لا يعرف أدب الإسلام ، فعلي أن أقول له إنتظر ! ، ثم اتصل بعد الآذان ، ولذلك فإني أتضايق ممن يتصل بي عند الآذان – إلا إذا كان من دولة خارج مصر ، لأنه لا يعرف مواعيدنا وبذلك تكون ضرورة – فوقت الله لا نسمح به لمخلوق سوى حضرة الله عز وجل ، فهو الخالق الأعظم جل وعلا ، وهذا وقته .

وقد علمنا سادتنا الصالحون أني إذا كنت مسافراً وسمعت الآذان فعليَّ أن أردّد الآذان ، وإذا كنت في جماعة ولا أستطيع النزول أعتذر إلى ربي عن تأخير الصلاة ، حتى أصل إلى محطة الوصول ، أو إلى أقرب مكان ، وأقول سامحني يا رب لأنني مسافر إلى أن أصل ، لكن إذا كانت سيارتي ..؟..فعلي أن أنتظر وأصلي ، حتى أنهم كانوا يقولون لنا : صلِّ واركب لا تنكب ! وهذه حكمة علمها لنا السادة الصالحون ، فمن يصلي ، يكون في حفظ الله ، فمن أين تأتي له النكبات ؟ لكن اقول سأصلي بعد أن أصل ! ، من أين أضمن أنني سأصل ؟...فعلى أن أصلي أولا ، ثم أركب ، وبذلك أكون دخلت في قول الله .....:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ (الآية (٢٢) يونس)

فهو الذي سيسيرني ويحفظني بحفظه عز وجل .

وكان أصحاب رسول الله كما ورد في شأنهم :

من فاتته تكبيرة الإحرام الأولى في الصلاة ، يتلقى العزاء منهم لما فاته من الأجر والثواب وفضل الله ثلاثة أيام !!! ، ومن فاتته صلاة الجماعة الأولى مع الإمام ، يعزونه لمدة أسبوع !!! ، وذلك للكرب الذي أصابه ، والغم الذي نزل عليه ، لأنه حُرم من فضل الله ، ومن كرم الله الذي يترله ويفرغه الله على المؤمنين الذين يؤدون الصلاة في أول وقتها ، فقد قال صلى الله عليه وسلم :

{ أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ ، وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ }[٥]

وهل يستوي من يصلي في وقت الرضوان ، ومن يصلي في وقت المغفرة ؟

كلا !! ، ووقت الرضوان يعني أنه سينهل من كنوز الرضوان :

﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (الآية (٧٢) التوبة)

فهذا هو أول أمر في منهج محبة الله عز وجل ، للعبد الذي يريد أن يحبه مولاه ، ومثل هذا يدخل في :

{ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ ....وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ }[٦]

لأنه عندما ينتهى من الصلاة ، يكون معلقا بالصلاة الثانية ، ومترقبها ، ومنتظرها ، وبذلك يكون في صلاة طوال اليوم ، فعندما ينتهي من صلاة الظهر ،

([٥]) عن أبي محذورةَ رضيَ اللَّهُ عنه في جامع الأحاديث و المراسيل .
([٦]) صحيح الإمام مسلم عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه .

ينتظر صلاة العصر ، حتى وهو في عمله . وعندما ينتهي من صلاة العــصر ، ينتظــر المغرب ، وهؤلاء يقول فيهم حضرة الله :

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الآية (٩) المؤمنون)

ومثل هذا في صلاة دائمة ......

لأنه في انتظار الصلاة ،...... ووقته كله مع مولاه جلَّ في علاه .



حكم السنن اللواحق مع الفرائض

ومن شدة اعتناء الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم بأمر الفرائض ، جعل لها لواحقا ، وهي السنن القبلية أو البعدية ، ونحن نعتبرها سنناً ، لكن مولانا الإمام أبو العزائم ، عندما وضح وبين هذا الحديث قال : {ما لا يتم الشيء إلا به فهو منه}.

والمعنى :

أن الجلباب لو حدث فيه خرق ، وأعطيته للرفّا ليصلحها بقطعة ثانية ، فبعــد أن يرفيها تصبح هذه القطعة من الجلباب ، فقبل أن يرفيها بهذه القطعة ، كانت ليست منه ، ولكن بعد أن رفاها بها أصبحت منه .

فلا يوجد منا من يستطيع أن يصلي الصلاة التي من بدئها إلى ختامها حــضور مع مولاه، فلا بد من وجود السهو والغفلة والتقصير ، ولذلك علّم الــنبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يستغفروا بعد الانتهاء من الصلاة ، ويقول كل رجل منــهم : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات .

مم يستغفرون ؟ ... لقد كانوا في طاعة !! ؟؟

كانوا يستغفرون من التقصير ، والقصور ، والفتور الذي انتابهم في الـصلاة ، لعل الله يجبر ذلك ، ويتقبل منهم ...!!... إذن ما الذي يجبر التقصير؟..:

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الطويل :

{ إنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، وَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ يُكَمَّلُ بِهِ مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ على ذَلِكَ }[٧].

و فى رواية تميم الدارى رضي الله عنه فى جامع الأحاديث و المراسيل :

{ فَإِنْ أَتَمَّهَا ، وَإِلاَّ قِيلَ : انْظُرُوا هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ ؟ فَأُكْمِلَتِ الْفَرِيضَةُ مِنْ تَطَوُّعِهِ ، فَإِنْ لَمْ تُكْمَلِ الْفَرِيضَةُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ تَطَوُّعٌ ، أُخِذَ بِطَرَفَيْهِ فَيُقْذَفُ بِهِ فِي النَّارِ }.

إذن النوافل تجبر الفرائض ، وبذلك فهل تكون نوافلاً أم فرائض ؟

تكون فرائض !!!.. إذن لمن تكون نوافل ؟

تكون للفذّ الذي يقول حضرة النبي في شأنه :

{ صَلاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً }[٨]

والفذُّ هو الذي ليس له نظير في عبادته ولا طاعته ولا تقواه ولا خشيته لمولاه ،

---

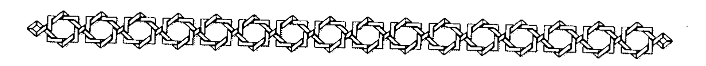
(٧) الترغيب و الترهيب عن أبي هُرَيْرَةَ ، رواه الترمذي .
(٨) صحيح البخاري ، عن ابن عمر رضى الله عنهما .

وليس معنى الفذّ من يصلي بمفرده .

فالنوافل كلها بالنسبة لنا تعتبر فرائض ، إلى أن يمنّ الله على الإنسان ويجبره ، ويشغل باله عن جميع المشاغل ، فيصلّي صلاة العارفين ؛ هنا فقط ..!!.. تكون نوافله نوافل قرب من حضرة ربّ العالمين عزّ وجلّ .

إذن الفرائض هي الباب الأول الذي يجب على الإنسان أن يوليه جلّ اهتمامه وأكثر عنايته ، ...... ومن قصّر ؟؟

فإنما يكون تقصيره تقليلاً في مقامه ، وتقليلاً من شأنه عند ربه عزّ وجلّ .... ، وبعد أن يؤدي الإنسان الفرائض ، يزيد في النوافل ! .



نوافل القرب

ما النوافل التي كان يتعهدها الصالحون لكي يحبهم الله ؟

{ *لا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أحبَّهُ..* }

هي نفس النوافل التي كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بهـا ، ويعملها لله عزّ وجلّ ، والنوافل التي مع الفرائض المفترضات ، ورد فيها قوله صلى الله عليه وسلم فى معنى الحديث الشريف :

{ *من صلّى عشْرَ ركعات في اليومِ والليلة بُنِيَ لهُ قصرٌ في الجنَّة* }

فقد كان ﷺ يصلي :

ركعتين قبل الصبح ، وركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعد الظهر ، وأربع قبل العصر ، واثنين بعد المغرب ، واثنين قبل العشاء ، واثنين بعدها..

فلو صلى الإنسان عشرة من هذه الركعات يبنى له قصر في الجنة . ، وقد ورد في العشر ركعات روايات عديدة أشهرها ، عن نافع رضي الله عنه ابن عمر رضي الله عنهما ...قال:

((عشرُ ركعاتٍ كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يداوم عليهنّ: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعد الظهر، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر)) وفي رواية أخرى مشهورة قال :((حفظتُ عن رسولِ الله عَشْرَ ركعاتٍ كان يصليها بالليلِ والنهارِ - وذكر العشر ركعات..)) [9]

والسنن المؤكدة التي كان الرسول ﷺ يتعهدها ، ويوصي بها أصحابه ، ما هي ؟

يقول فيها سيدنا أبو هريرة ﷺ :

{ أوصاني خَليلي صلى الله عليه وسلم بثَلاثٍ: صيامِ ثلاثةِ أيامٍ من كل شهرٍ، وركعتَيِ الضُّحىٰ، وأنْ أُوتِرَ قبل أنْ أنام}[10].

([9])عن ابن عمر ﷺ في مسند الإمام أحمد بن حنبل ، و الرواية الثانية في سنن البيهقي الكبرى عنه ﷺ ، كما رواه البخاري في الصحيح عن سليمانَ بن حرب ﷺ.

([10])صحيح البخاري عن أبي هريرةَ ﷺ .

أولاً: صلاة الوتر

والوتر لا بد منه .

وحضرة النبي صلى الله عليه وسلم قال في شأنه مارواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، فى مستد الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه :

{ فأوتر بواحدة } ، و فى الرواية الأخرى :{ أوتروا ولو بواحدة }

فإن كنت مشغولاً فأوتر بركعة ، المهم ألا تدع الوتر ، فإما أن أصليه قبل أن أنام ، وأما إذا كنت متحققا وضامناً لقيام الليل ؛ أؤخره إلى ما بعد القيام .

وحتى لو صليته قبل المنام ، وفتح الله علي في قيام الليل ، فلي أن أبدأ بركعة واحدة ، وهذه الواحدة ، مع الواحدة التي صليتها وترا سيكون الإثنين شفعا ، وأصلي ما شئت ثم أختم بالوتر ، وذلك لكي لا يكون هناك تعارض بين الأحاديث .

فقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر ، قال ابن عمر رضي الله عنهما :

(من صلى بالليل فليجعلْ آخرَ صلاته وتراً، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك، فإذا كان الفجرُ فقد ذهبت كلُّ صلاة الليل والوتر) ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أوْتِرُوا قَبْلَ الفَجْرِ» [١١]

يعني آخر صلاة قبل الفجر هي الوتر ، وفى حديث آخر قال ﷺ :

---

(١١) عن ابن عمر ﷺ فى مسند الإمام أحمد بن حنبل .

{ لا وتران في ليلة }[١٢].

فلا يصحُّ أن أصلي الوتر مرتين، ، أبيِّن ثانية و أقول : إن الصالحين جمعوا بين هذه الأحاديث بما يلي :

إذا كنت لن أقوم الليل ؛ فأوتر قبل أن أنام ، وإذا فتح الله علي ، أصلي ركعة ، ثم أصلي ما شئت ، ثم أختم بالوتر .المهم أن يكون الوتر مرة واحدة ، ولا بد من صلاة الوتر .

ولذلك فإني أعجب من كثير من أحبابنا الذين يتهاونون بصلاة الوتر ولا يصلونها !!!!!.


إن الوتر من السنن المؤكدة .

وكان سيدنا رسول الله يوتر أحياناً بواحدة ، وأكثره ثلاثة عشر.فكان أحياناً يصلي ثلاثة ركعات ، وأحياناً يصلي خمسة ركعات، وأحياناً يصلي سبعة ، وأكثر ما ورد عنه ثلاثة عشر ركعة .

ثانياً: قيام الليل نور وشفاء

وكان يحافظ على القيام لأن الله قال له :

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ الإسراء

(١٢) عن طلق بن على رضى الله عنه ، فى جامع الأحاديث و المراسيل .

من يريد أن يكون له مقام محمود ...؟...فعليه بقيام الليل ، وجعله الله عليه فرضا... فقال له :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) ﴾ سورة المزمل

ويقول في ذلك سيدي أحمد البدوي ﷺ: "ركعتان في جوف الليل الآخر خير من ألف ركعة بالنهار" وسبحان الله إن العلم الحديث في أيامنا هذه كشف لنا عن سر صلاة التهجد وذلك في حديث {عليكم بقيام الليل}



إعجاز طبي في حديث عليكم بقيام الليل

قال ﷺ :

{ عَلَيْكُمْ بقيامِ اللَّيْلِ، فإنَّهُ دأْبُ الصالحينَ قَبْلَكُمْ، وإنَّ قيامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إلى الله تَعَالَى، وتَكْفيرٌ للسيئاتِ، ومنهاةٌ عن الإثمِ، ومَطْرَدَةٌ للدَّاءِ عن الجَسَدِ }[١٣]

وهذا الحديث من معجزاته ﷺ :

فالأطباء أثبتوا ذلك :

وقد كتب أحد أساتذة الأطباء في جريدة الأهرام المصرية نقلاً عن كتاب ألفه مجموعة من الأمريكيين جاء فيه :

---

(١٣) حديث صحيح في السنن الكبرى للبيهقي ،عن بلال ﷺ ، و روايات أخرى للترمذي وغيره عن أبي أمامة .

"إن القيام من الفراش في اثناء الليل والحركة البسيطة داخل المنزل أو القيام بتدليك الأطراف بالماء – انظر هذا يشبه الوضوء – والقيام ببعض التمرينات الخفيفة –وهذا يشبه الصلاة – والتنفس بعمق –وهذا يكون في المناجاة– له فوائد صحية كبيرة "...قال الأستاذ الطبيب:

"والمتأمل لهذه النصائح يجد أنها تماثل تماماً حركات الوضوء والصلاة عند قيام الليل وقد سبق النبي صلى الله عليه وسلم كل هذه الأبحاث في الإشارة المعجزة على فوائد قيام الليل وذكر الحديث"

وعن هذه الفوائد قال:

ثبت أن قيام الليل يؤدي إلى تقليل إفراز هرمون الكورتيزول وهو الكرتيزون الطبيعي للجسم خصوصا قبل الإستيقاظ بعدة ساعات ، وهو ما يتوافق زمنياً مع وقت السحر الثلث الأخير من الليل ، مما يقي من الزيادة المفاجئة في مستوى سكر الدم والذي يشكل خطورة على مرضى السكر ، ويقلل كذلك من الإرتفاع المفاجئ في ضغط الدم مما يقي من السكتة المخية والأزمات القلبية.

ويقلل قيام الليل من مخاطر تخثر الدم في وريد العين الشبكي ، الذي يحدث نتيجة لبطئ سريان الدم في أثناء النوم وزيادة لزوجة الدم بسبب قلة السوائل أو زيادة فقدانها أو بسبب السمنة المفرطة وصعوبة التنفس ، ويؤدى قيام الليل إلى تحسن في حركة وليونة المفاصل ، خاصة في مرض إلتهابات المفاصل وهو علاج ناجح لما يعرف بمرض الإجهاد المزمن.

ويؤدى إلى تخلص الجسم من الجليسيرات الثلاثية – نوع من الدهون التي تتراكم في الدم وتزيد من مخاطر الإصابة بأمراض شرايين القلب التاجية ، ويقلل من خطر الوفيات من جميع الأسباب.

وينشط الذاكرة ، وينبه وظائف المخ الذهنية المختلفة ، لما فيه من قراءة وتــدبر للقرآن ، وذكر للأدعية فيقي من أمراض الزهايمر وخرف الــشيخوخة والإكتئــاب وغيرها ، وكذلك يخفف من شدة مرض طنين الأذن لأسباب غير معروفة.

هكذا ذكر الطبيب!!

وهناك ابحاث أخرى ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{...ومطردة للداء عن الجسم }

وبالتالي في القيام دواء وشفاء ونور وجمال وكمال وبهاء :

ولذلك فسيدنا جبريل نزل في مرة لرسول الله بوصية عظيمة من الله قال فيها :

{ يا محمدُ عِشْ مَا شِئْتَ فإنَّكَ مَيِّتٌ، واعْمَلْ مَا شِئْتَ فإنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فإنَّكَ مُفَارِقُهُ، واعْلَمْ أنَّ شَرَفَ المُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ".} ١٤

بعدها ارسل الحبيب رسالة (فاكس) لجميع الصالحين السابقين واللاحقين... من الذي يريد أن يكون من الوجهاء والعظماء يوم الدين ....،..فلبت أرواحهم....: نحن !

وكان فحوى أو مضمون هذه الرسالة ..... :

{ من صَلَّى باللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، رفعت له يوم القيامة الأعلام }

وقال مرة أخرى :

(١٤) مجمع الزوائد ، عن سهل بن سعد ، وهناك روايات أخرى عديدة .

{ بَشِّرِ المَشَّائِينَ في الظُلَمِ إلى المساجِدِ بالنور التَّامِّ يومَ القيامةِ } ١٥

﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الذاريات

فإن هذا هو الوقت الذي يتنزل الله فيه إلى السماء الدنيا والتنزل يعني يتنزل بفضله وكرمه وخيره وبره ورحمته وعنايته وليس معنى يتنزل أي يتنزل بذاته لأن الله لا يحيزه زمان ولا مكان ... وينادي فيه هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مبتلى فأعافيه؟ هل من مسترزق فأرزقه؟ هل من كذا هل من كذا حتى مطلع الفجر.



رجال الليل

وممـا يدل على مكانة رجال قيام الليل :

ما ورد عن سيدي ابراهيم الدسوقي ﷺ وأرضاه:

أنه اعترض أحد قضاة الإسكندرية على مريديه ، وأخذ في التشنيع عليهم ، فأبلغ أحدهم الشيخ فأعطاه وريقة ، وقال له : أعطيها للقاضي ليقرأ ما فيها .

فلما أعطى الوريقة للقاضي ، أخذته العزة بالإثم فلم يفتحها ولم يقرأها ، وظن أن هذا هراء ، وقال لا أقرأها حتى أجمع الجموع ، فجمع جمعاً حاشداً ليقرأ عليهم الرسالة ، وبعد أن جمعت الجموع وبدأ في الحديث والكيل على الصالحين وأحباب

(١٥) حازم عن سهل بن سعد الساعديِّ ، سنن البيهقى الكبرى و صحيح ابن خزيمة .

الصالحين ، قال بسخرية وتهكم واستهزاء :

وهذا الذي يدعي أنه من الصالحين ابراهيم الدسوقي أرسل هـذه الوريقـة ، وأريد أن أقرأها عليكم وفتحها وإذا فيها أبيات حكمية يقول فيه سيدي ابراهيم ﷺ:

سهام الليل صائبة المرامي إذا وترت بأوتار الخشوع

وسهام الليل أي الدعوات التي في جوف الليل الآخر لأنها سـهام تـصيب في النحور

سهام الليل صائبة المرامي إذا وترت بأوتار الخشوع
يصوبها إلى المرمى رجال يطيلون السجود مع الركوع
إذا أوترن ثم رمين سهما ما يغني التحصن بالدروع

ومن العجب ـ وليس هناك عجب على أحوال الصالحين ـ أن الرجل عنـدما نطق : "إذا أوترن ثم رمين سهما...." خرج من الوريقة سهم دخل في صدره وخـرج من ظهره ، ومات به في الحال .!!!..

فسبحان العلي القدير، كيف عقدت الأقدار موته بقراءة الأبيات ، وخـروج السهم عند نطقه لألفاظ هذه الكلمة وهي كلمة "سهم " ، لكن لا تعجب إذا سمعت قول الله :

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (الآية (٣٤) الزمر)

فهذا هو وقت الفتح .

ولذلك كان مولانا أبو العزائم ﷺ وأرضاه في بداية دعوته عندما كان في المنيا وكان يعمل أستاذاً للغة العربية ، فكان يخرج يوم الخميس إلى أي بلدة من بـلاد الله ويذهب على مسجدها ، ويعلم الناس ما فتح الله عز وجل عليه به من أحكام دين

الله ومن الفقه في كتاب الله ومن أسرار حديث رسول الله ، ثم يصر على أن يبيت في المسجد ، فإذا كان وقت السحر كان يصعد إلى المئذنة ويناجي الله عز وجل وكان من جملة هذه المناجاة:

إلهي بالتجلي في ساعة الأسحار ... إذ أضاءت شموسه للسارى

فهذه أوقات مناجاة ..!!

ولذلك فإن جميع الصالحين ينادى عليهم معسكر الجمع على حضرة الله في وقت الليل الآخر ، ولذلك كانت أم سيدنا سليمان بن داود عليه السلام تقول له:

يا بني لا يكن الديك أفقه منك فإنه يقوم لله عز وجل في جوف الليل الآخر .

وكان الصالحون يقومون عند سماع الديكة ، وكانت هذه المنبهات التى تنبههم إن لم تكن المنبهات في الصدور ، ولذلك قال الإمام أبو العزائم ﷺ :

" من لم يكن له في بدايته قومه لم يكن له في نهايته جلسة"

من يريد أن يكون له جلسه في مقعد صدق او مع الذين اتقوا والذين هم محسنون لا بد أن تكون له قومه بالليل ، لأن هذا هو وقت الجمع على الله وهذه هي السنة التي كان عليها سيدنا رسول الله ... فقد كنا نصلي القيام في رمضان فيلزم يا إخواني أن نحافظ على القيام.

سؤال... والذكر؟

الإجابة: إن الصلاة ذكر لأنها شاملة لكل شيء ، فيها ذكر وفيها تلاوة قرآن وفيها تفكر وفيها تدبر وفيها خشوع وفيها خضوع ، وفيها رياضة بدنية، إنها عبادة جامعة ، فخير الذكر ما كان في الصلاة :

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ (الآية ١٤) طه

وخير التلاوة ، ما كانت في الصلاة :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ٢٩ فاطر

والتلاوة هنا في الصلاة .



ثالثا: سبحة الضحى

والنفل الثالث :

الذي كان يتعهده ويحافظ عليه سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ركعتا الضحى ، ووقتهم بعد شروق الشمس بثلث ساعة إلى قبل الظهر بثلث ساعة ، وأقلها ركعتان ولا حد لمنتهاها .

والحبيب صلى الله عليه وسلم علل وبين سر تعهده لها فقال صلى الله عليه وسلم مما علمه ربه: {يصبح على كل سّلامى من ابن آدم صدقة – وسلامة يعني فقارة– وعددها ثلاث مائة وستون فقّارة– وسبحان الله ..!!..لم تحصَ بهذا العدد إلا في العصر الحديث في علم التشريح ، وهي الفقرات التي بالظهر والفقارات التي في اليدين والفقارات التى في الجسم كله .

فكوني أستيقظ في الصباح وأجد أن هذه الفقارات تعمل.!!!

من الذي لينها وشحمها لكي تؤدي عملها؟...الله عز وجل،.... فلو لم يزيتها ملك الملوك .. أين أجد لها الزيت؟...هل يوجد هذا الزيت في أي صيدلية؟..

من يحدث له خشونة من الذي يستطيع أن يزيت له هذه الخشونة؟..والذي يحدث عنده تيبس .. من الذي يستطيع أن يفك له هذا التيبس؟. لا يوجد ..!!

ولذلك أنصح إخواني بهذه النصيحة التي اوصت بها جمعية الأطباء الأمريكيين حيث قالوا : ان المحافظة على الصلاة بالنظام الإسلامي تجعل الفرد لا يصاب بأي خلل في فقرات العمود الفقري ، وعندما أسمع الآن أن فلان مصاب بـإنزلاق غضروفي ؛ أعلم أنه غير محافظ على الصلاة في وقتها ، لأن أي مؤمن سيحافظ على فرائض الله ونوافل رسول الله.. كيف يصاب بالإنزلاق الغضروفي أو التيبس؟

لا يأتيه مثل ذلك ابداً .. لأنها التحصينات الإلهية..،

فإذا ترك هذه التحصينات فتح على نفسه الباب في الوقوع في هذه الأعراض وهذه الأمراض وحضرة النبي قال ذلك:

{ يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ - وعددها ثلاث مائة وستون - . فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ. وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ. وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ. — فتحير الناس كيف يأتون بالثلاثمائة وستون صدقة؟ فأشار إلى أنها سهلة ميسورة ،فقال وَيُجْزِىءُ، مِنْ ذٰلِكَ، رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى }١٦

(١٦) صحيح مسلم ، عَنْ أَبِي ذَرَ ﷺ .

يعني إذا صليت ركعتي الضحى تكون قد شكرت الله على تشغيل كل الفقرات التى في جسمك وقدمت الشكر لله :

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (الآية (٧) إبراهيم)

كما قال الله جل في علاه..فما الذي يضيرني بعد ان أفطر ، أن أتوضأ وأصلي ركعتى الضحى ، وأخرج إلى العمل وأنا على وضوء، وأكون قد تسلحت بسلاح المؤمن الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء سلاح المؤمن ، وفى الحديث :

(لايحافظ على الوضوء إلا مؤمن)[17]

وإذا كنت مشغولا أتوضأ ، وبعد أن أصل إلى العمل انتهز أي فرصة وأصلي الركعتين ، وبذلك أكون باركت مكان العمل حتى يؤمنني الله فيه من الخطر والزلل ومن أهل الشر والمنافقين......

والصالحون قد عودوا أنفسهم على المداومة ، ونحن لا نستطيع المداومة، فالإنسان غير الملتزم في العلاج الطبي يستمر على الدواء يومين أو ثلاثة ثم يتركه ، وهذا الأمر عينه طبقناه على الأدوية القرآنية والأشفية النبوية ..

لكن الصالحين عباداتهم دائمة ، ولذلك لا يفرقون بين رمضان وغير رمضان :

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٣٧ النور)

هل ذلك في رمضان أم في كل وقت آن؟ باستمرار وعلى الدوام.. وهذه هي نوافل الصلاة .

---

(١٧) الترغيب وفى الإرواء ، عن ثوبان رضي الله عنه .

رابعاً: دوام ذكر الله

والفريضة الأولى علينا جماعة المؤمنين هي الشهادتان :

(شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله) ، وقد أمرنا الله أن نتلفظ بها في كل صلاة مرة أو مرتين في أثناء التشهد الأخير.. هل لها نوافل ؟..... نعم...:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾

(الآية ٤١ الأحزاب)

فلا يكفي أن أنطق بالشهادتين في الصلاة مرتين وحسب فماذا يمنعني في أثناء قعودي أو ذهابي أو إيابي أو نومي من تحريك اللسان بذكر الله قال صلى الله عليه وسلم:

{ ما عمل آدميٌ عملاً قط أنجى له من عذاب الله، من ذكر الله }[18]

من يا رسول الله من أصحابك في المكانات العالية؟ قال:

{ سَبَقَ المُفَرِّدُونَ، قَالُوا يَا رَسُولَ الله وَمَا المُفَرِّدُونَ؟ قَالَ المُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ الله. يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ خِفَافاً }[19]

(١٨) عن معاذ بن جبل مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

(١٩) سنن الترمذى عَن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

خامساً: الصيام المسنون

أوله وأعظمه ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :

{ *من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر* } ٢٠

والدهر يعني السنة ..

فإذا صام الستة متتابعين يجوز ذلك ، ولو صامهم متفرقين يجوز أيضاً .

المهم أن يصومهم خلال الشهر ...وبعد ذلك يوجد حد أدنى وحد أعلى للصيام المسنون.

الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه فصل ذلك فقال :

" الحد الأعلى لصيام النوافل هي صيام يوم وافطار يوم ، وهو صيام داود عليه السلام .

وسيدنا عبدالله بن عمر رضى الله عنه قال له رسول الله عندما صام الدهر:

{ *قال: فصُمْ يوماً وأفطرْ يوماً، فذلك صِيامُ داودَ عليه السلامُ، وهو أفضلُ الصيام. قلت: إني أطيقُ أفضلَ من ذلك، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: لا أفضلَ من ذلك* } ٢١

(٢٠) عن أبى أيوب ، صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه .
(٢١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه فى صحيح البخارى .

وهذا كلام رسول الله... والحد الأوسط صيام الإثنين والخميس وكان صلى الله عليه وسلم يتعهده في بداية دعوته وكان يقول :

{ تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم. }[٢٢]

وفي آخر حياته وعندما كبر سنه ولكي يسن للضعفاء والمرضى كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر وهذا هو الحد الأدنى ويقول فيه صلى الله عليه وسلم :

{ ثَلاَثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ. وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ. فَهٰذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ }[٢٣]

ولذلك قال الإمام أبو العزائم ﷺ: "ولا يقل المريد عن ذلك".

أى لا يصح أن يمر عليه شهر بدون صيام الثلاثة أيام، فإذا صام الاثنين أو الخميس من كل أسبوع فإن ذلك يبلغه ، وإذا صامهم متتابعين فلا بأس المهم أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر والأهم أن يحافظ على ذلك فلا يصوم سنة ثم يأخذ بقية عمره في سنه ، هذا بالنسبة لأصحاب الأعذار.

أما بالنسبة للشباب فعلى الشاب التقي أن يصوم الإثنين والخميس من كل أسبوع ، أو يصوم يوما ويفطر يوما وخاصة الشاب الذي لم يتزوج ، فلا يقل عن الاثنين والخميس ، والأفضل له أن يصوم يوما ويفطر يوما... لأنها وصية الحبيب التي يقول فيها :

---

(٢٢) عن أبي هريرة تخريج المشكاة ، التعليق الرغيب و الإرواء .

(٢٣) صحيح مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ و تمامه«.... صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ. وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ. وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ.).

{ يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر و أحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء }[٢٤]

وجاء أى وقاية – هل يصوم الثلاثة أيام فقط ؟ ....لا بل عليه صيام الإثـنين والخميس ، أو يصوم يوما ويفطر يومل... أو يصوم الاثنين والخميس ، والثلاثة أيـام البيض. الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر الهجري ، وهذا هو الحد الأدنى للشباب... لكن أصحاب الأعذار عليهم المحافظة على الثلاثة أيام من كل شهر لأن هذا ما تعهده رسول الله ونحن نعمل بقول الله:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

الآية (٢١) الأحزاب

سادساً: صدقة التطوع

والركن الرابع هو الزكاة لمن عليه الفريضة ومن ليس عليـه زكـاة ، عليه نفلها ، وهو الصدقة ، والصدقة يا إخواني هي باب القرب وسر كل عطاء وقـد قال الله عز وجل :

((يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ"))[25]

(٢٤) عن عبدالله بن مسعود ، رواه البخارى و بقية الستة .
(٢٥) عن أبى هريرة ، صحيح مسلم ، قال رسول الله ﷺ ((قال الله تعالى ...)).

ولذلك لو جاء عبد بعبادة الثقلين وكان شحيحا في الإنفاق فقل له ليس لــك نصيب في كرم المليك الخلاق ، فقد قال الله في (الآية ٩) سورة الحشر :

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

وكان سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه يقول :

"تصدق ولو بنصف تمرة كل يوم تكتب في ديوان المتصدقين وصلي ولو ركعتين في جوف الليل كل ليلة تكتب في ديوان القائمين"

إنها دواوين تفتح كل يوم ، ويلزم للإنسان أن تكون له صدقة دائمة لله :

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (الآية ٢٧٣) البقرة

ومن لم يتمرن على الإنفاق لا يطمع في كرم الخلاق عز وجل " :

((يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ"))

ولذلك كان سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه وأرضاه يقول :

(أقبح القبيح ؛ صوفي شحيح)

لأن خلق الله الكرم و اسمه الكريم ليس من أخلاقه أو أسمائه البخيــل وهــو كريم يحب كل كريم لأن الله يحب من خلقه من كان على خلقه ﷺ :

((السَّخَاءُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ ، أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّيَاتٌ فِي الدُّنْيَا ، فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا قَادَهُ ذَلِكَ الْغُصْنُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَالْبُخْلُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ النَّارِ ، أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّيَاتٌ فِي الدُّنْيَا ، فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا قَادَهُ ذَلِكَ الْغُصْنُ إِلَى النَّارِ "[٢٦]

ومن يريد أن يكون من أهل الغرف العالية في الجنة ماذا يفعل يا رسول الله ؟ قال :

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفاً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَ أَفْشَى السَّلاَمَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ }[٢٧]

وهذه يا إخواني هي أبواب الإكرام يكفي أن :

((وَالصَّدَقَةُ تُطْفِيءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِيءُ الْمَاءُ النَّارَ))[٢٨]

ومن منا بغير خطيئة.. وأسرع شيء لمحو الخطيئة هو الصدقة و ربما يكون الاستغفار بغير حضور قلب يزيد الأوزار لكن ما يطفئ هذه النار وهذه الأوزار هي الصدقة.. فمن يريد أن يحبه الله عليه أن يكون من المتصدقين والمكرمين والعطاءين .

---

(٢٦) جامع الأحاديث و المراسيل عن أبي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه .

(٢٧) صحيح ابن حبان عن أبي مالك الأشعري .

(٢٨) مجمع الزوائد ، عن معاذ بن جبل .

سابعا: تلاوة القرآن

بقي شيء يسير ..

وهو أن الإنسان لكي يحبه العلي الكبير لابد وأن يديم تلاوة كتابه .

لأنه لا يديم تلاوة كتابه إلا أحبابه .

وربنا يسَّر لنا الموضوع :

وإذا كنت غير قادر على القراءة فأسمع ، وإذا لم يكن لديك وقت على الإطلاق فعليك بجهاز تسجيل صغير وأحضر مصحف مرتل واسمع بترتيب المصحف ، مثلا أثناء إفطارك في الصباح ، و أثناء ارتدائك لملابسك عليك أن تستمع إليه ، فمثلا ستستمع إلى ربعين ، فلا بأس وعند عودتك استمع أثناء الغذاء ستستمع إلى ربعين بذلك يكون نصف جزء .أما إذا كان عندك سيارة فهي فرصة عظيمة ، وتستطيع في هذه الحالة أن تسمع كل يوم جزء في الذهاب وجزء في العودة على مسجل السيارة وبالترتيب.

وقال في ذلك مولانا أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه :

يجب أن لا يقل ورد المريد في طريقنا عن تلاوة جزء من القرآن في كل يوم .

بحيث يختمه في كل شهر مرة، لأن الحد الأدنى أن يختم القرآن في كل شهر مرة ، والحد الأوسط أن يختمه مرة كل أسبوعين ، والحد الأعلى كل أسبوع مرة ، والأرقي كل ثلاثة أيام مرة ، فعلى الأقل يقرأ في كل يوم جزء بتدبر وتمعن وتفكر فإن الله عز وجل يناجي التالي لكتابه قال صلى الله عليه وسلم :

{ إذا أحب أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ القرآن } ٢٩

القرآن الكريم تلاوة وسماعا يشفي الأمراض بنسبة ٩٥%

أجريت في أحد مستشفيات إيطاليا دراسة عجيبة حول إمكانيات العلاج من المرض عن طريق سماع آيات من القرآن الكريم.:

أحضروا شريطا مسجل عليه آيات قرآنية تتلى بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد، وأحضروا مجموعة من المرضي الإيطاليين، فأسمعوهم القرآن بصوت القارئ العربي .... ماذا كانت النتيجة؟

وجدوا نسبة الشفاء بين هؤلاء المرضى وصلت إلى ٩٥% ، في حين كان سماع الموسيقي والدانص والموسيقي الصاخبة التي سمعها الآخرون من الفئة المعدة لهذا الغرض عادية جدا ولا يوجد تحسن في عينة البحث .

فقاموا بوضع شريط مسجل عليه آيات قرآنية بصوت قارئ عربي مسلم أسفل شجرة مثمرة، وشريط آخر به أو مسجل عليه موسيقي صاخبة ، ماذا كانت النتيجة؟؟؟ ...وجدوا أن الشجرة التي سمعت القرآن الكريم كانت ثمارها أسرع نضجاً وأحلى مذاقاً ، أما الشجرة الأخرى فكانت أبطأ نضجاً وأقل حلاوة في المذاق والطعم

وما قصة الفتاه المغربية ببعيدة :

فقد كانت مصابة بالأورام السرطانية، وذهبت إلى العديد من الأطباء من ذوي التخصصات الطبية المعنية بالأورام ... وكانت النتيجة بالطبع سيئة، الكل يحاول دون فائدة .. لكن فجأة هداها تفكيرها حيث شعرت برغبة جارفة لأداء العمرة .

(٢٩) عن أَنَسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ ، جامع الأحاديث و المراسيل .

ذهبت إلى مكة وعكفت هناك في الحرم المكي ، فقامت بتلاوة وتدبر آيات القرآن الكريم وشرب ماء زمزم.، .. استمرت على هذا الحال ما يقرب من شهر ... وإذ بها تشعر بتحسن شديد في القوى والحيوية والنشاط .،. كانت المفاجأة العظيمة أنها شفيت بفضل القرآن الكريم.

وقد جاء أيضاً أحد الأبحاث الأمريكية في جامعة هارفارد كما ذكرت صحيفة (العرب أون لاين) :

تؤكد أن تلاوة القرآن الكريم لها أثر مهدئ وذلك بعد أن أجرت بحثاً على مجموعة مكونةمن ألف رجل وامرأة من العرب الأمريكيين الذين يجيدون العربية ، ومن المسلمين الأمريكيين الذين لا يجيدون اللغة العربية.

فوجدوا أن سماع القرآن الكريم المرتل يعمل على تغيرات فسيولوجية لا إرادية في الجهاز العصبي ، ويساعد على تخفيف حالات التوتر النفسي الشديد ، ويخفف حالات الكرب والحزن ويبعث بالنفس إلى الهدوء والراحة والطمأنينة.

وقد وجد الباحثون أن لتلاوة القرآن الكريم أثراً مهدئاً على أكثر من ٧٩% من مجموع الحالات التي قرأت القرآن الكريم ، وتم رصد تغيرات لا إرادية في الأجهزة العصبية للمتطوعين الذين تم الاختبار عليهم ، مما أدى إلى تخفيف درجة التوتر لديهم بشكل ملحوظ بالرغم من وجود نسبة ٥٠% منهم لا يعرفون العربية جيداً.

وتبين أيضاً من البحث أن قراءة القرآن تعمل على تنشيط وظائف الجهاز المناعي للجسم.

كما لاحظ الباحثون أن الأشخاص غير المتحدثين بالعربية شعروا بالطمأنينة والراحة والسكينة أثناء الإستماع لآيات القرآن رغم عدم فهمهن لكثير من المعاني .

وأظهرت الدراسة أن الاستماع إلى التعبيرات الهادئة ذات الإيقاع البطيء الحنون والنغمات التي يخشع لها الوجدان كترتيل الآيات القرآنية يؤثر بطريقة إيجابية على الإنسان وصحته النفسية.

وأوضح الباحثون أن هذه النغمات تعمل على تهدئة الأعصاب وهو ما يؤدي بدوره إلى إبطاء التنفس وعدد ضربات القلب بصورة متوازنة فيفيد أصحاب مرضى القلب والأزمات القلبية ، بعكس سماع النغمات الصاخبة المرتفعة من موسيقى ذات إيقاعات سريعة التي تساعد على سرعة التنفس وتحدث التوتر والانفعال وعدم التركيز.

وأشار دكتور سيفن لوك الأستاذ بجامعة هارفاردإلى أن :

نشاط الخلايا القاتلة بالجهاز المناعي والمسئولة عن التصدي للأمراض السرطانية يقل بشكل حاد مع انخفاض تأثير المواد المناعية المهمة التي لها دور في التصدي لهذا المرض أثناء تعرض الإنسان للانفعالات الحادة أو المستمرة والقلق والتوتر العصبي.

فلماذا إذن لا نجعل لأنفسنا فرصة للاستمرار والمداومة على قراءة القرآن الكريم ، أو سماعه لمن لا يجيدون القراءة ولو لوقت قصير كل يوم ، فالنفس كما تشتهي الشهوات مع ضياع العشرات من الساعات على جلسات السمر والجلوس على المقاهي ، والتسوق ومشاهدة القنوات الفضائية التي تحتوي على الكثير من اللهو فضلا عن أن معظم أغاني الفيديو كليب الراقصة التي تحرك رغبات الشباب وتساعد على الإثارة والفتنة.

نقول لماذا لا نتحصن بكتاب ربنا..!!..؟؟ ونحاول أن نمنحه جزء قليل من وقتنا..!!..؟؟

فالرسول ﷺ يقول فى معنى حديثه أنه من أراد أن يكلم الله فليدخل في الصلاة ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن ، ويقول :

{ مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لاَ أَقُولُ آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ولامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ } [٣٠]

ثامنا: الحج قربة

كيف نتقرب إلى الله بالحج

علما بأنه فريضة مرة واحدة وعالية التكاليف ومعظمنا لعدم الاستطاعة تسقط عنه هذه الفريضة فمن لا يملك الاستطاعة فليس عليه حج لكن الصالحون قالوا في ذلك إن سيدنا رسول الله أعطانا فرصة للحج في كل يوم.. كيف؟

قال ﷺ في حديثة الصحيح :

{ مَنْ صلّى الفجرَ في جماعةٍ ، ثم قعدَ يذكرُ اللهَ حتى تطلُعَ الشمسُ ، ثم صلى ركعتين ؛ كانتْ له كأجرِ حجةٍ وعمرةٍ } ... ، . قال : قال رسول الله ﷺ : { تامّةٍ ، تامّةٍ ، تامّةٍ .} ٣١ ..

---

(٣٠) سنن الترمذى ، عنْ عَبْدَ الله بنَ مَسْعُودٍ .

ولذلك فإن هناك وقتان لا يزال الصالحون في كل زمـــان ومكـــان يحـــافظون عليهما اقتداء بالنبي العدنان وهما وقت السحر والوقت ما بين الفجر وطلوع الشمس .... فلا ينامون في هذا الوقت.. لأنه وقت لله ولأن الله قال جل في علاه :

((يَا ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِكَ مَا بَيْنَهُمَا))[٣٢]

لكن تأتي النفس وتحدثك وتقول أنك مازلت صغيرا في السن، عندما تخرج على المعاش أفعل ما تريد

فأقول لها: ومن أين لي أن أضمن ذلك؟

أو تحدثه نفسه بأنك ذاهب إلى العمل ولو فعلت ذلك ستنام في العمل أجل هذا العمل ليوم الجمعة وعندما يأتي يوم الجمعه تحدثه أنك متعب وهذا هو اليـــوم الوحيـــد الذي ترتاح فيه..

هذا يا اخواني هو حديث النفس لكي تكسل الإنسان وتجمده.. لكن اعلم علم اليقين أنك لو أقبلت على الله بيقين فإن الله يبارك في كل شيء لك فأقل جرعة من النوم تكفيك.:

سيدنا الإمام عمر بن الخطاب عندما تولى الحكم قال : إن نمت نهارا ضـــيعت رعيتي وإن نمت ليلا ضيعت نفسي، فسألوه ماذا ستفعل؟ ...قـــال: جعلـــت النـــهار لرعيتي والليل لربي...

متى كان ينام إذن؟ ..،.كان ينام بعد شروق الشمس ، لأنه عندما كـــان يجـــد بعض أصحابه يحيون الثلث الأخير من الليل ، ويناموِن بعد الفجر قال لهم :

---

(٣١) مشكلة المصابيح (٩٧١) — ٢(١٣) .

(٣٢) جامع الأحاديث و المراسيل(١٥١٢٠) .

والله للذي تنامون عنه أفضل من الذي تقومون فيه.!! ، . وكان رضي الله عنه بعد أن تشرق الشمس بثلث ساعة يصلي سنة الإشراق ، ثم يضع رأسه بين ركبتيه ويخفق خفقات ، فيقوم وكأنه نام طوال الليل ، بل أحيانا كان يمسك الدرة ويضرب نفسه ، ويقول يا نفس طالما نمت ! .

لأن المسافر يا إخواني دائما مستعجل :

حتى أن المسافر أحيانا عند عودته يمكث يومين أو ثلاثة لا ينام ، ويقول عندما أرجع سأنام..، ... ونحن كذلك فكلنا مسافرون إلى الله عز وجل وسننام نومة طويلة... إذن على الإنسان ألا يسلم لحديث النفس...!!!....لأنه عندما يمشي مع الله فإن الله عز وجل يجعل له مددا في نومه.، فلو كان قاعدا وغفا غفوة يقوم وكأنه نام يوما وليلة لأن الله عز وجل بارك له في هذا النوم...

وورد أن كثير من الأئمة كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء مثل الإمام أبو حنيفة ، ألم يكن يعمل؟ بل كان له عملان فقد كان تاجرا لينفق على عياله وينفق على تلاميذه – لأن العالم في ذلك الوقت هو الذي كان ينفق على تلاميذه ولا يأخذ منهم – وكان معلما يعلم الفقه والدين ابتغاء وجه الله ..!!

متى كان ينام إذن الإمام أبو حنيفة ؟ كان ينام بعض ساعة بعد صلاة الظهر، فقد قال صلى الله عليه و سلم :

((اسْتَعِينُوا بِقَائِلَةِ النَّهَارِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ))[٣٣]

وكأنه نائم طوال الليل... لكننا الآن ننام طوال الليل ، ونصلي الصبح ، وننام وانتابنا الكسل والوخم ، لماذا ؟...!!!...

[33] عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهُمَا في جامع الأحاديث و المراسيل

لأننا استسلمنا للنفس..... ولا بد من جهاد النفس .. ويقول في ذلك الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه :

و ما النوم إلا الموت قهر لطيفتي حرام عليها النوم ليست من الترب

فالروح لا تنام ، وإذا انتبهت الروح تأخذ الجسم معها ، وأقل النوم يكفيها ، فإذا أشفقنا على الجسم وتركناه يستسلم للنوم ، هنا يكون الجسم هو المستحكم والنفس ، وبذلك لا تصحوا الروح إلا يوم ينادي المنادي ، قال تعالى (٩٤ الأنعام) :

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

ولا يصح ذلك إذاً يجب على الإنسان أن يعلي عزيمته، لأن علو الهمة من الإيمان.

علو عزائمكم هيا و اعشقوا لتشاهدوا عدن الجنان وحورها

وبعض الصالحين تحدث لهم أحوال غريبة في هذا الباب:

ففي قرية البرلس التابعة لبلطيم بمحافظة كفر الشيخ كان هناك رجل من الصالحين اسمه الشيخ عيسى ومدفون في مسجد وكانوا يسمونه خفير البرلس – يروي الإمام الشعراني في طبقاته عن هذا الرجل أنه مكث خمسة وعشرين سنه لم يذق فيها طعم النوم مرة واحدة ... ولا تقل كيف؟

لأنها أحوال عالية لا يعلمها إلا واهبها عز وجل فإن الروح هنا علت وسمت والروح إذا علت وسمت ،. تريح الجسم من المنام ، والمنام المقصد منه إراحة الأعضاء وتعويض الأعضاء وعمل صيانة شاملة لها ، وذلك كله يقوم به الله عز وجل ويأمر به الأعضاء وأنت في هذه اللحظات لأن أمر الله عز وجل بين الكاف والنون :

﴿ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ سورة يس

فمن يهتم بالنوم ويبحث عنه سينام ، لكن الصالحين غير ذلك ، كان الرجل منهم يسهر طوال ليله بين يدي مولاه فإذا أصبح الصباح ، وضع زيتا على شعره ووضع كحلا في عينه ، وغسل وجهه حتى يظن من يراه أنه اغتسل وخرج بعد نوم طويل ، ولا يريد أن يعرف الناس أنه كان سهران.. وإذا ربك وفق وأعان فأعلم علم اليقين أن هذا الكيان سيطويه الله عز وجل ويمنحه القوة والعون من الرحمن ، ومادامت القوة والعون من الرحمن ، فإن فضل الله عز وجل لا يحصيه زمان ولا يحده مكان فاستمد العون من الله .

وهذه يا اخواني هي أحوال الصالحين في هذا الباب — وهذا هو المنهج الذي يمشون عليه لكي يعينهم الله ويقويهم الله جل في علاه ، ولذلك نسمع عنهم أنهم يطوى لهم الزمان ، ويطوى لهم المكان، ويبارك الله لهم في الطعام ، ويبارك الله لهم في المنام، ويبارك الله لهم في القراءة ويبارك الله لهم في الكتابة... لماذا؟

لأنهم عزموا عزما اكيدا على طاعة الحميد المجيد عز وجل.. لعلنا نحافظ على هذا المنهج ونديم عليه لكي يحبنا الله جل في علاه.

بشائر المحبين

فإذا داوم المؤمن على هذه الأعمال ، وحافظ على هذا المنهج : أحبّه الله ، ورزقه حبه ، وجعله من المحبوبين لحضرته . وبشائر المحبين ليس لها حدٌ ولا عدٌ :-

فقد ورد أن سيدنا حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وكان من الذين حضروا غزوة بدر .. لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بفتح مكة كتب كتابا بذلك إلى أهل مكة وجاء بجارية عنده وأعطاها الكتاب وقال لها إذا أبلغتيه لأهل مكة فأنت حرة لوجه الله عز وجل ، وسارت في الطريق ، ونزل جبريل وأخبر الحبيب ، فأرسل خلفها سيدنا الإمام علي وسيدنا الزبير بن العوام ، فلحقاها بعد خروجها من المدينة ، فقال لها الإمام علي أخرجي الكتاب الذي معك .قالت: ليس معي شيء !!.

قال : والله ما كذبنا ولا كُذّبنا ، لتخرجن الكتاب أو لأكشفن عن سوءتك – يعني أفتشك وكان تفتيش النساء عيبا في ذلك الوقت – فأخرجته من شعرها ، فأخذوه وذهبوا إلى حضرة النبي ، فأحضر النبي حاطبا وذلك لأنها تعتبر خيانة عظمى وقال له : ما الذي دعاء لذلك يا حاطب ؟ فقال سيدنا عمر: يارسول الله دعني أقطع عنق هذا المنافق وكان سيدنا عمر شديدا في الحق. فقال صلى الله عليه وسلم :

((إنهُ شهد بدراً، وما يُدريك لعلَّ الله عزَّ وجلَّ اطّلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شِئتم فقد غفَرتُ لكم.)) [٣٤] وفى رواية أخرى ..**((فقال: اعملوا ما شئتم. فهذا الذي جرَّأه))**

وهنا يدور سؤال . .ومن جاء بعد بدر من أمثالنا إلى يوم القيامة ما نصيبهم من ذلك ؟ والإجابة عن ذلك نجدها في هذا الحديث:{إذا احب الله عبدا لم يضره ذنب} كيف يتم ذلك ؟ يقول في ذلك كتاب الله آية ١٦ سورة الأحقاف :

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾

(٣٤) عن على ﷺ رواه البخارى .

ولذلك أعطانا الإمام أبو العزائم ميزانا نزن به الرجال ما هذا الميزان؟ قال :

إذا رأيت الرجل تغلب عليه الحياة الروحانية فلا تعبأ بسيئاته.

أي لا تقف عند سيئاته ، لأن هؤلاء يقول الله عز وجل فيهم :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ ﴾

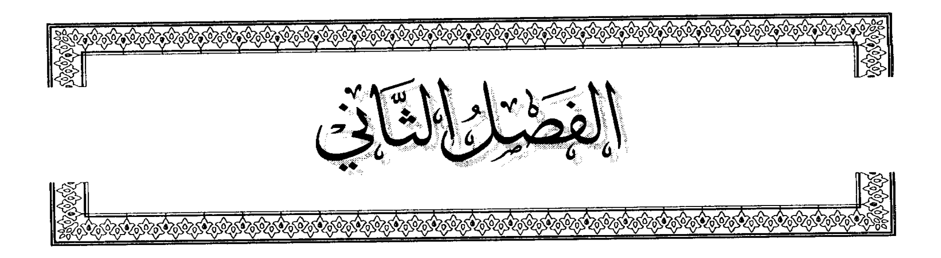
وإذا رأيت الرجل تغلب عليه الحياة الحيوانية فلا تعبأ بحسناته .

لأن هؤلاء يقول الله عز وجل في شأنهم :

﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾ (٢٣) الآية (٢٣) الفرقان

المهم غلبة الحياة الروحانية ، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من عباده المحبوبين المقربين الآنسين بحضرته المشغولين بالكلية بطاعته وعبادته وأن يعيننا بعون ذاتي منه على ذكره وشكره وحسن عبادته وأن يوفقنا في كل أوقاتنا وكل أنفاسنا بدوام ذكره والحضور بين يدي حضرته وأن يجعلنا دوما مع الحبيب المختار ملحوظين منه بالأنوار وأن يقذف في قلوبنا من ذاته البهية خالص الأسرار وأن يجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الصلاةُ على حضرة النَّبى [*]

- أنواع الصلوات .
- أدب الصالحين فى زيارة الحبيب .
- رؤية وجه الحبيب.
- الصورة الأحمديَّة :
- تطبيب القلوب .

(*) كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ٦من ذي القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ٨ من ديسمبر ٢٠٠٥م بعد تناول العشاء بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي – محافظة القاهرة.



بسم الله الرحمن الرحيم

لعل من أعظم الأعمال

...التي يستوجب بها العبد محبة الله الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك فالإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه وكان قطب أهل الإلهام، وإلهامه كان صرفاً وليس بمزج .

علوم الإلهام لها خاصية فعندما يسمعها الإنسان يسجلها على الفور ، ا يحتاج لمسجل، فمن تقسيماته اللطيفة للصلاة على حضرة النبي فيقول ﷺ وأرضاه:

"إن الصلوات الموجودة على الساحة كلها قديماً وحديثاً على حضرة النبي صلى الله عليه و سلم ثلاثة أنواع :-

أنواع الصلوات

صلاة عددية وصلاة مددية وصلاة عينية أو شهودية،

فالصلاة العددية وهي التي فيها عدد :

وأكبر كتاب فيها هو كتاب دلائل الخيرات للشيخ الجزولى ﷺ وأرضاه ، وكان فحلاً من الفحول ،.

وسر اشتغاله بالصلاة على رسول الله كانت بنتا ، فقد كان عطشانا وذهب ليشرب من بئر في بلاد المغرب ، ولم يستطع أن يشرب لبعد الماء عن متناول يده وكان

هذا البئر بجوار قصر ، وإذا بهذه البنت تطل من شرفة في القصر وتنظر إلى الماء فيرتفع الماء حتى تشرب بشفتيها ، وليس بكوب أو غيره فنظر إليها مدهوشـــاً ومتعجبـــاً ... وسألها كيف وصلت إلى ذلك؟

فقالت: بالصلاة على حضرة النبي صلى الله عليه وسلم.

فاشتغل الشيخ الجزولى من فوره بالصلاة على حضرة النبي ، ومن شدة اشتغاله بها جعل لنفسه ورد يومي ، وكل يوم غير اليوم الآخر ، وورد اسبوعي ثم ســـجلها في كتاب اسمه دلائل الخيرات .

هذا الرجل ولشدة انشغاله بالصلاة على حضرة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته جاء لبعض أهله وطلب نقله إلى مكان آخر في مدينة فاس ببلاد المغـــرب وكـــان ذلك بعد موته بثلاثة وثمانين سنة ، فحفروا قبره فوجدوه على هيئته وحالته وكفنه كما هو وجسمه كما هو والعطر يفوح من هذا القبر ، فعلموا أن ذلك ببركة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتهرت دلائل الخيرات.

وأي عمل يشتهر يا أحباب يكون دليلاً على صدق صاحبه وإخلاصه ، فمـــثلاً المذاهب الفقهية كانت أكثر من ثلاثين مذهباً ، فلماذا اشتهرت المذاهب الأربعة لأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد؟

لصدقهم وإخلاصهم لله عز وجل وهكذا الأمر .فقد اشتهرت دلائل الخـــيرات لإخلاص هذا الرجل وصدقه مع الله عز وجل ومع ذلك فإن دلائل الخيرات كمثال هي التي فيها : اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد ذرات الرمال وقطرات البحار وأوراق الأشجار وكلها مبنية على العدد ... وهذه الصلاة العددية هل يعطينـــا الله ثوابها على حسب هذه الأعداد ؟

كلا ، بل يعطيك ثواب صلاة واحدة ، وكأنك صليت مرة واحدة على حضرة النبي ، وهذه تسمى الصلاة العددية لأنها مبنية كلها على العدد ، وقد جاءت نتيجة الفكر ، فقد أُخذ الرجل برسول الله وأراد أن يصلي عليه فأخذ يفكر ثم جاء بهذه الصيغ ، فمرة يذكر الأشجار وأخرى يذكر البحار وثالثة يذكر الأطيار وهكذا. هذه صلوات عددية ، ما اسمها؟...."دلائل الخيرات".. أي تدل على الخيرات.

فجاء الإمام أبو العزائم وقال :

إن ما ألهمني الله به من صلوات لا تدل فقط ولكن تعطيك الخيرات على الفور ولذلك اسماها "نيل الخيرات" .، ونال يعني حصل أو أخذ .، مثلاً فلان نال جائزة الدولة التقديرية يعني أخذها .

أما الصلوات المددية :

فهي التي يمد بها سيدنا رسول الله الصالحين ، فقد كان يمد كل رجل من الصالحين فمنهم من يمده بصيغة ، ومنهم من يمده بصيغتين ومنهم من يمده بأكثر وكلها نفحات ولذلك تجد أن كل واحد من الصالحين له صيغة مشهورة .

وقد جمع هذه الصيغ في عصرنا رجل من الصالحين هو الشيخ يوسف النبهاني رضوان الله عليه ، وهذا الرجل معاصر في القرن العشرين وكان قاضي محكمة في بيروت وقد وظفه الله في جمع هذه الصلوات في كتاب كبير حوالي سبعمائة صفحة اسمه سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين ، وقد أتى في هذا الكتاب بكل الصيغ الواردة عن الصالحين، من أول سيدنا الإمام علي حتى يومنا هذا، مثلاً الوارد عن سيدي أبي العباس المرسي ﷺ وأرضاه: " اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد قدر حبك فيه وبجاهه عندك فرج عنا ما نحن فيه، إلهي لا أسألك رد القضاء بل أسألك اللطف فيه" .

والوارد عن سيدنا عبدالسلام بن مشيش : " اللهم صلّ على من منه انـشقت الأسرار وانفلقت الأنوار..".

وهذه الصيغة بعض أهل الطريق يسموها الوسيلة ويقرءونها صباحاً ومساء مـع بعض الآيات القرآنية والأذكار ، وصلوات العارفين صلوات بها روح لأنها إلهام مـن سيدنا رسول الله ، ونستطيع أن نسميها صلوات إلهامية أو صلوات مددية لأن سيدنا رسول الله هو الذي أمدهم بها .

والحقيقة يا أحباب وليس فخراً ولكن ذكراً للفضل الذي عمنـا الله بـه .. عندما انفتحنا في أنوار الحبيب وكنا نصلي عليه صلى الله عليه وسلم بصلوات الإمـام أبو العزائم كانت تنهال على الإنسان منا صلوات لا عد لها ولا حد ولو كتبناها لكنا كتبنا مجلدات كلها إلهامات وقتيه ، ولكن لم يكن لدينا الوقت لكي نكتـب ، لأننـا نريده هو وفقط ، فالإلهام موجود والحمد لله في مدرسة الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه بركة من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أدب الصالحين في زيارة الحبيب

أما الصلوات الشهودية العينية :

فهي صلوات في مواجهة الحبيب الأعظم ، وليست في غيبة وكان بدايتها مـع الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه مع حبيب الله ومصطفاه في الحج ، فكما تعلمـون أن الحرم المدني يغلق بعد العشاء والإمام أبو العزائم كعلية الصالحين لا يدخل بيت حضرة النبي وهو المسجد إلا إذا سمع الإذن :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ (الآية ٥٣ الأحزاب)

فلم يكن يدخل إلا إن قال له ادخل يا فلان ، وبغير ذلك لا يدخل وهذا أدب الصالحين.

فسيدي أبو الحسن الشاذلي صلى الله عليه وسلم وأرضاه عندما كان في الحج وذهب إلى المدينة المنورة أمر بنصب الخيام خارج المدينة ومكث ثلاثة أيام ، فقال أحبابه له نريد أن نزور رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : حتى يأتي الإذن ، فمكثوا مكانهم خارج المدينة إلى أن جاء الإذن ، ودخل لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فدخل الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه لزيارة حبيب الله ومصطفاه ، ثم غلق خدم المسجد أبوابه وأطفئوا الأنوار ، ولم ينتبهوا لوجود الإمام أبي العزائم بالروضة الشريفة ولا أخرجوه ، ومكث الليلة كلها مع رسول الله وهذه الليلة وصف حاله فيها فقال رضي الله عنه:

حبيبي قد شرح صدري وآنسني إلى الفجر

إلى أن قال.. فيها أن رسول الله قال له:

تملى بي و شاهدني ومل عندي عن الغير
وأنبأ من يرد قربي بحسني حيث لا يدري

فألهمه الله عز وجل بعد ذلك صلوات يعبر بها عن المواجهات والمقامات التي يرى فيها سيد السادات صلى الله عليه وسلم.

رؤية وجه الحبيب

ورؤية رسول الله يا إخواني لها حالتان :

فهي إما رؤية لتفريج الكروب ، أو الأخذ بيد الإنسان من الذنوب والعيوب ، أو تبشيره بخير ، وهذه تكون بالصورة المحمدية الموصوفة في كتب الحديث ، كما وصفها الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه ، وكما وصفها سيدنا أبو هريرة وكما وصفها هند بن أبي هالة خال سيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهما وهي الصورة الحسية التي يقول فيها الإمام أبو العزائم ﷺ:

أبرزته يد العناية كو نأ وهو نور في صورة أدمية

فهو بشر مثلنا ، ولكنه نور ، فكما ترون فإن لكل واحد فينا ظل لكن صورة الحبيب لم يكن لها ظل ، فإذا مشى لا يرى له ظل ، ومن لا ظل له هو النور ، ما جلس مع قوم إلا كان أعلاهم مهما كان طولهم وما مشى مع قوم إلا وكان أطولهم مهما كان طولهم، وإذا مشى يمشي كهيئته وعادته وهم يجرون خلفه ولا يستطيعون اللحاق به ، فكأنما الأرض تطوى له .. والروايات كثيرة وهذه مجملها.

وسيدنا أنس قال فيه : ما رؤي ﷺ مع شمس ولا قمر ، ولا مصباح ، إلا وكان نوره أزهى من نور الشمس ، وأضوء من نور القمر ، وأجمل من نور المصباح.

وقال سيدنا حسان في ذلك:

لما نظرت إلى انواره سطعت وضعت من خيفتي كفي على بصري

خاف أن يحرقه نور رسول الله فعندما رآه وضع يده على بصره ..

خوفاً على بصري من حسن صورته فلست انظره إلا على قدري

الأنوار من نوره في نوره غرقت	والوجه مثل طلوع الشمس والقمر
روح من النور في جسم من القمر	كحلة نسجت في الأنجم الزهر

فحتى هذه الصورة الآدمية لم تكن صورة عادية ، ولكنها نور كما وصفه الإمام أبو العزائم: "هو نور في صورة آدمية".

الصورة الأحمدية

لكن أهل الشهود وأهل الإكرام الأعلى والمقام الأسنى والنور الأبهى من حضرة الله عز وجل ... كيف يمشون في العوالم العلوية وكيف تمشي أرواحهم؟

لا بد من صورة معنوية نورانية شهودية تمشي أمامهم لتفتح لهم مجاهل هذا الطريق وهذه تسمى الصورة الأحمدية: ولذلك فإن سيدنا عيسى رأى الصورة الأحمدية ولم يرى المحمدية:

﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ الآية(٦) الصف

وهذا هو ما رآه .. لأن الصورة المحمدية لم تكن قد جاءت بعد — فقد رأى سيدنا عيسى الصورة الأحمدية التي هي جمال الملكوت وكمال العظموت ونور الرحموت وسناء الحي الذي لا يموت ، وفي هذا المعنى يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

من خمر نور جمالك و	من رحيق وصالك
شربت صرفاً فهمت	وهام أهل كمالك
فأصبح القلب نوراً	والقلب قد كان حالك

ومبشري قال هيا قم فالحمى لك سالك
فسرت و هو إمامي حتى وصلت هنالك
ناديت ياليت قومي قد يعلمون بذلك

من خمر نور جمالك ... وانتبهوا للألفاظ فنور جماله خمر .. وإذا كان جمال يوسف جعل السيدات يقطعن أيديهن بالسكاكين وأين جمال يوسف بالنسبة لجمال سيدنا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وسلم :

"أعطي يوسف عليه الصلاة والسلام شطر الحسن"[1]

أعطي يوسف شطر الحسن، حسن من؟ ...حسن رسول الله .. لأنه أخذ الحسن الظاهر لكن الحسن الباطن شيء آخر وهو لرسول الله.

من خمر نور جمالك و من رحيق وصالك
شربت صرفاً فهمت وهام أهل كمالك

عندما رأى هذا النور وهذا الجمال .. ما الذي حدث؟

ومبشري قال هيا قم فالحمى لك سالك

فالطريق أصبح مفتوح ...

فسرت و هو إمامي حتى وصلت هنالك

إذاً من يقود الإنسان في غياهب الغيب ..؟؟ وفي غيب الغيب ؟؟...وفي نور الأنوار ؟؟...وفي عالم الأسرار؟؟؟

---

(١) عن أنس بن مالك ، مسند الإمام أحمد .

ليس إلا الحبيب المختار في الصورة الأحمدية .

ما شكل هذه الصورة ؟

وصفها الإمام أبو العزائم في صلواته ولذلك فمن يقرأ الصلوات يرى فيها الصورة المعنوية المحمدية كأن يقول مثلاً : "اللهم صلي وسلم وبارك على بيت الله المعمور بالله ، ونور الله الدال على الله "

فمن يريد الوجه يجب عليه أن يتأنى ويتعنى ليتهنى .. لا بد أن تكون هناك معاناة وشوق ويكابد هذا الشوق للحبيب لكي يطيب.

تطبيب القلب

والذي يطيب القلب يا إخواني ويجعله صالحاً للقاء الله ؟

لا توجد إلا أنوار حبيب الله ومصطفاه فنحن الآن بالليل وإذا مشينا بطريق ليس به كهرباء، هل نرى أي شيء؟ ما الذي يضيء الدنيا كلها؟ هي الشمس .

كذلك ما الذي ينّور القلوب؟

شمس الحبيب المحبوب صلى الله عليه وسلم ...

ومن يمشي في عالم الغيوب لا يمشي بجسمه ، ولكن يمشي بقلبه ، وبروحه ، وبسره ، فيرى نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ......:

لأنه نور الروحانيات ، والمعنويات، والحقائق العالية والدانية ، صلوات ربي وتسليماته عليه .

فلا بد للإنسان أن يعرف الصورة المعنوية ، ويلطف عواطفه القلبيـــة ويرقـــق حواشيه النورانية ويرقي أسراره الروحانية لكي يتابع رسول الله ﷺ في هـــذه المقامـــات العالية التي يقربه فيها مولاه جل في علاه .

فعندما يصلي على رسول الله ﷺ وهو في هذه الحالة ... لا يصلي باللسان :

القلب يذكر والجميل امامي ...ليس اللسان إذاً فالقلب هو الذي يذكر وكأنه يرى فيلم ولكنه من نوع آخر لا يوصف ... يرى بعين قلبه نور ربه ﷺ ، وهذه يا إخواني هي الصلوات الشهودية لأنها قيلت في شهود المقامات المحمدية وتوصيف الحقيقة النورانية.

فإذا أردت أن أكون من أهل الشهود أو من أهل الوصـــال أو من أهل العرفان لا بد أن أعرف :

هذه الجمالات وهذه الكمالات التي بها تقع العين على العين ولذلك تجـــد أن توصيف الإمام أبو العزائم لسيدنا رسول الله ﷺ ليست أوصافاً حسية ، ولكـــن كلـــها أوصاف معنوية، نورانية، روحانية، شهودية ... وهذه كلها أوصـــاف ، لأن الحقيقـــة فوق الوصف وفوق الخيال – فكل هذه المشاهد يجدها الإنسان في صلوات الإمام أبو العزائم ولذلك عندما تصلي يقول لك: إياك أن تقرأ بلسانك فقط، ماذا تفعل إذاً؟

يقول لك:

صلي صلاة اتصال تحظى بالحسنى   استغرق الوقت في كشف بلا ميل

صلي صلاة الاتصال ... وكان يكلم رسول الله ﷺ مرة ويقول له:

عشقتك كشفاً لا سماع رواية... أي عشقتك كما رأيتك وليس عن السماع عن فلان وفلان ولكنه كشف ، فمن يريد أن يكون من أهل الوصول ومـــن

أهل المقامات العالية ومن أهل المنازل الراقية يحتاج أن يعرف شيئاً عن معنى رسول الله والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه عندما يتكلم حتى عن الأفراد العاديين في الوجود يقول فيهم:-

معناه غيب ومبناه مشاهدة ... والفرد معنى وليس الفرد تكويناً

ولذلك فإن سيدنا رسول الله غير محيز ، في مكان ولكنه يملأ الوجود كله بنوره وسره ، وروحانيته ، وشفافيته صلوات ربي وتسليماته عليه.

وهذا هو سر هذه الصلوات :

فعليكم بها واستمسكوا بها تفوزوا بما فيها من الأنوار العالية والمقامات الراقية، والأمر كما يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روته السيدة عائشة لرضى الله عنها :

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ. فَإِنَّ اللهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا. وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ}.[٢]، ثم قالت عائشة : { وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ إِذَا عَمِلُوا عَمَلاً أَثْبَتُوهُ.}

والإمام الغزالي رضى الله عنه وأرضاه ، في كتابه إحياء علوم الدين ضرب مثلاً لطيفاً وقال : "لو صخرة من الصخر الصلب تنزل عليها المياه قطرة قطرة بصفة دائمة ومستمرة فلا بد أن هذه المياه في يوم من الأيام ستفتت هذه الصخرة ....!!......لكن لو جئت بوعاء مملوء بالماء وأفرغته مرة واحدة على هذه الصخرة ..!!...ماذا يصنع فيها؟"

---

(٢) صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها .

وهكذا الأمر في الطاعات :

فمن يقبل على العبادة لحظة أو شهر ثم يتركها لا يتقدم ....:

لأن القلب مثل هذه الصخرة ، فالعمل الرافع يتطلب المداومة ، فلو داومت على الصلاة على حبيب الله ومصطفاه ، فإن الله سيرقق القلب والفؤاد ويجعله مجهزاً ومؤهلاً لنور حبيب الله ومصطفاه.

بنور الله فاعتصموا ولا تميلوا إلى الأهواء ميلة مارق

ولو أن القلب نزلت فيه قطرة واحدة من نور الحبيب فإنها تكفيه وتغنيه:

فنقطة نور منه تحيى قلوبنا فكيف إذا ما كنت بحراً وانجماً

نقطة واحدة تكفي ...!!!

فما بالكم بالبحر الذي ليس له نهاية ، ......والذي يقول فيه :

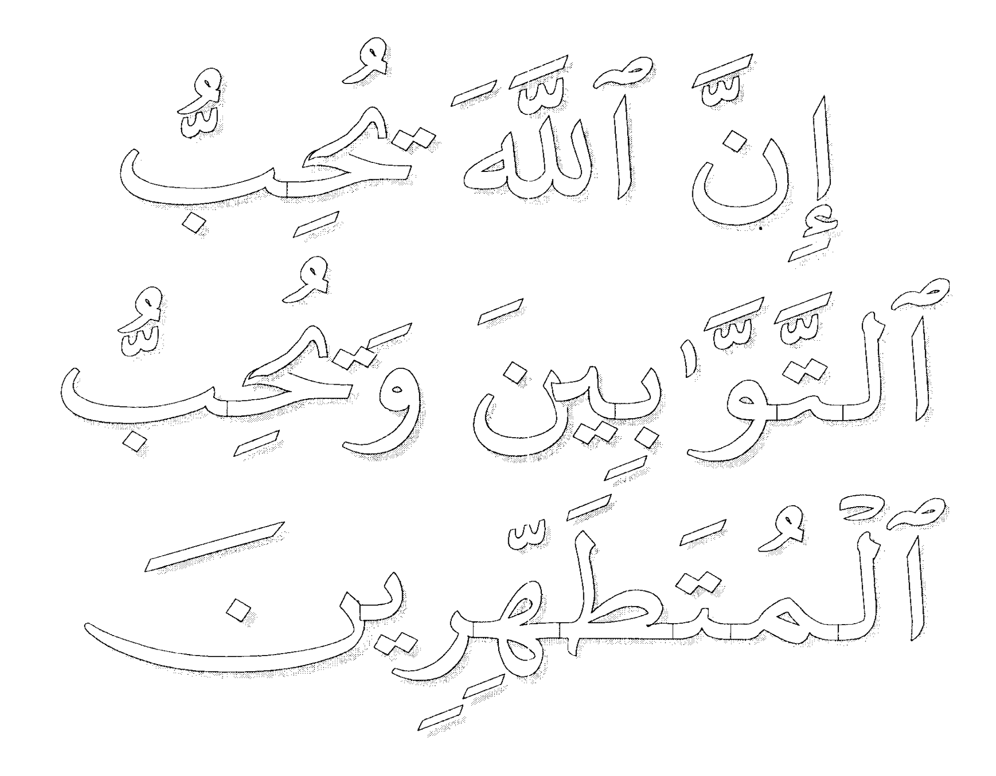
فمائة من الآلاف عشرون بعدها مشارب رسل الله بالإجمال
فلي قد تجلت وبل وفي قد انجلت فسلم لنا تحظى بخير وصال.

الفصل الثالث

يحبُّ التَّوابين و يحبُّ المتطهرين (*)

- مقام التَّوابين .
- بين التَّوبة و الاستغفار . .
- التَّوبة من نسبة الطاعات . .
- التوبـــــة من الوجود .
- التَّوبـــــة من التَّوبة ..
- سر استغفار النبى صلى اللّه عليه و سلم .
- دوام التَّوبـــــة
- شروط التوبة النصوح .
- جمال التَّـــوابـــين .
- مقام المتطـــهرين .
- طهـــــارة القــلوب .

(*) كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ٦ من ذي القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ٨ من ديسمبر ٢٠٠٥م بعد صلاة العشاء بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي – محافظة القاهرة.


إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ
ٱلْمُتَطَهِّرِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

الذي غمرنا برضوانه وخص قلوبنا بخالص توحيده وإيمانه وجعلنا في الدنيا من أهل عرفانه ونسأله عز وجل أن يجعلنا في الآخرة من أهل النظر إلى جمال طلعته وأهل رضوانه والصلاة والسلام على الحبيب المحبوب الذي جمله مولاه بما يحبه من الأخلاق الإلهية والكمالات الربانية

فقد خرج صلى الله عليه وسلم على أصحابه ذات يوم وهم يتحدثون عن أنبياء الله عز وجل السابقين ، وكان أصحابه ملهمين ، فما تحدثوا به هو الحقيقة التي اختارها الله ونزلت في كتابه المبين فقال بعضهم :

((عَجَباً إنَّ الله عزَّ وجلَّ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلاً اتَّخَذَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً. وقَالَ آخَرُ: مَاذَا بِأَعْجَبَ مِن كَلاَمِ مُوسَى كَلَّمَهُ تَكْلِيماً. وقَالَ آخَرُ: فَعِيسَى كَلِمَةُ الله وَرُوحُهُ. وقَالَ آخَرُ: آدَمُ اصْطَفَاهُ الله.- فسمع الحبيب وهو في داره هذا الحوار فانشرح صدره وارتاح فؤاده لأنه علم أنهم يستكنهون الغيوب ويستلهمون العلوم من حضرة علام الغيوب عزَّ وجلَّ وهذا هو المطلوب فخرج عليهم فَسَلَّمَ وقال صلى الله عليه وسلم : وقَالَ: • قَدْ سَمِعْتُ كَلاَمَكُمْ وَعَجَبَكُمْ. إنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ الله وَهُوَ كَذلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّ الله وَهُوَ كَذلِكَ، وَعِيسَى رُوحُ

الله وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر))[1].

فمقام المحبوبية أغلى ما نحرص عليه ، وأثمن ما نقدم كل غالٍ، وكل ضنين في سبيله ، لأننا نتمنى جميعاً أن نفوز بمحبة الله ، حتى نكون من أهل وراثة حبيب الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم ....

ومن فضل الله علينا ومن كرم الله عز وجل لنا أجمعين أن الله عز وجل فتح لنا أبواباً لا عدّ لها ، كل باب منها إذا دخله الإنسان وصدق فيه يكون نصيبه أن يحبه الله عز وجل والذي يريد أن يحبه الله ، ماذا يفعل؟

مقام التوابين

هناك أبواب كثيرة لذلك :

لكن الباب الأعظم والذي عليه المدار والذي هو أُسّ حياة الصالحين والأخيار والأبرار فلا يستغني عنه واصل ولا يستطيع أن يتركه عارف أو متمكن، هذا الباب يقول فيه الكريم الوهاب عزَّ وجلَّ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة

من الذي يريد أن يحبّه الله ؟

---

(١) سنن الترمذى ، عن ابن عباس .وتمامه ((وأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ وَلاَ فَخْرَ)) .

هذا هو الباب : أن يكون من التوابين أو من المتطهرين .

لأنه كلام الله عز وجل .

وقد بدأ الله كلامه بـــ "إن" للتأكيد وإن كان كلام الله كما نعلم جميعاً هو كلام أكيد لأنه كلام الحميد المجيد عز و جل " التوابين والمتطهرين" .

ومن لطف الله عز وجل بنا وإكرامه لنا أنه لم يقل أن الله يحب التائبين لأن كلمة التائبين تعني أن التوبة مرة واحدة ويُغلق الباب ، لكن " التوابين" بصيغة المبالغـــة معناها أن باب التوبة مفتوح .

فكلما أذنب العبد ورجع إلى الله وجد الله فرحاً به ويخلع عليه ثياب محبتـــه ... المهم أن يدّثر دائماً بلباس التوبة، والظالم لنفسه هو الذي يظن أنه تجاوز مقام التوبة ولم يعد له نصيب في التوبة فيشتغل بأمر آخر ولا يرجع للتوبة ...

والتوبة لا تفارق أي مقام ولا أي درجة ومنزلة لأن الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم كان يقول فيها:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَغْفِرُوا اللهَ وَتُوبُوا إِلَيْهِ ، فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَوْ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرَّةٍ }[٢]

وأرجو أن يلفت إخواني أنظارهم إلى هذا الحديث ويفهموه بعقل حثيث:

فإن أغلب الخلق فهموا من الحديث أن يستغفر الله في اليوم مائـــة مـــرة .، والحديث لم يشر إلى ذلك فقط ....

---

(٢) جامع الأحاديث و المراسيل ، عن أبي بردةَ عن الأغر ﷺ.

ماذا قال حبيبي وقرة عيني صلى الله عليه وسلم؟

اسمعوا وعوا:

أيها الناس .. توبوا إلى الله – وهذا شق– واستغفروه – وهذا شق آخر– ثم بين فعله وحاله فقال : فإني أتوب إلى الله عز وجل – وهذا شـــق– وأســـتغفره في اليوم مائة مرة.

بين التوبة والاستغفار

فالتوبة غير الاستغفار...

لأن الاستغفار عمل من أعمال الجوارح أو من أعمال القلب يتوجه به العبـــد إلى مولاه، يستغفر الله عز وجل وله بكل استغفار عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ويزيد الله عز وجل لمن يشاء.

لكن التوبة لها أركانها ولها أحوالها ولها جمالاتها التي يجب على التائب أن يتجمل بها ليحبه الله عز وجل ، فإن الله لم يقل إن الله يحب المستغفرين وإنما قال :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢ ﴾

(الآية (٢٢٢) البقرة)

صحيح أن التوبة في كل مقام من مقامات السير والسلوك إلى حضرة الله عز وجل لها معناها ولها أحوالها ولها متعلقاتها ......: لكنها توبة ....فمن النـــاس مـــن يتوب من سيئاته ، ومن الناس من يتوب من طاعاته ، ومنهم من يتوب من غفلاتـــه ، ومنهم من يتوب من وجوده ، ومنهم من يتوب من شهوده .

أحوال عالية ومقامات راقية !!.

والتوبة لا تفارق كمل العارفين طرفة عين ولا أقل... حتى المقام الأعظم الذي فيه الحبيب الأكرم يبين سر هذه التوبة التي يتوبها فيقول صلى الله عليه وسلم في مقامه:

{ إنَّهُ لَيُغَانُ على قَلْبِي، وإنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليوم مِائَةَ مَرَّةٍ } [٣]

وهذا حديث آخر غير الحديث الأول يبين لماذا يتوب .. إني ليغان على قلبي فاستغفر الله عز وجل وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة: سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه قال: تحيرت في هذا الحديث وقلت في نفسي وما الغين الذي يغان به على قلب رسول الله ؟

وكلمة الغين يعني الغطاء .. فنحن قد يغطي على قلوبنا الشهوات أو الحظوظ والأهواء أو الأوزار فقد بين الحبيب حالنا وقال في شأننا:

{ إنَّ المؤمنَ إذَا أذْنَبَ ذنباً كانتْ نُكْتَةً سوداءَ في قَلْبِهِ، فَإنْ تابَ ونَزَعَ واسْتَغْفَرَ صُقِلَ مِنْهَا قَلْبُهُ، فَإنْ عادَ زَادَتْ حَتَّى يَعْلُقَ بِهَا قَلْبُهُ، فذلكَ الرَّانُ الذي ذَكَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ في كِتَابِهِ } [٤] يعني الغطاء....ثم تلى قول الله عز وجل:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة المطففين

---

(٣) سنن البيهقى الكبرى عن الأَغَرِّ المُزَنِيِّ رضي الله عنه و رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن يحيى وأبي الربيع الزهراني.

(٤) صحيح ابن حبان عن أبي هريرة

فالران أو الغطاء الذي على قلوبنا سببه الذنوب :

كلما أذنب العبد ذنباً كان نكتة سوداء على قلبه ... ونكتة مع نكتة مع نكتة يكون الران أو الغطاء فيحجب العبد عن أنوار ذي الجلال والإكرام ، فيكون في الغفلة أو في وادي التيه أو في أرض القطيعة أو في مهاوي العصيان.

المهم أنه يكون في بعد عن حضرة الرحمن عز وجل لأن الوصلة التي بينه وبين مولاه غطاها بالذنوب التي ارتكبتها نفسه ولم يتب منها إلى حضرة الله عز وجل في هذه الحياة....لكن رسول الله ليس له ذنوب والله هو الذي شهد بذلك وقال في كلامه المكتوب:

﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾

الآية (٢) الفتح

فاحتار سيدي أبو الحسن ما الذي سيتوب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فالصغار يتوبون من الذنوب .:

ومن تاب وأناب وسلك طريق الأوبة إلى حضرة التواب وأخذ يتعبد ويتقرب بالنوافل لمولاه ... قد يتوب من تقصيره في الطاعات ، فلا يوجد من يستطيع أن يعبد الله حق عبادته حتى الملائكة الذين خلقهم الله عز وجل فمنهم الراكع أبدا ومنهم الساجد أبدا ومنهم الذاكر سرمداً ... يقوم الساجدون يوم القيامة من سجدة واحدة منذ أن خلقهم الله وهم سجود فيها ، فيقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ... فمن منا يا إخواني من يعبد الله حق عبادته؟

إذا فهو يتوب من التقصير كحال أصحاب البشير النذير صلى الله عليه وسلم كما أخبر الله عنهم وقال في شأنهم:

﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ ﴾ سورة الذاريات

يستغفرون من رؤية التقصير في الطاعات لأهم رأوا أنفسهم لا يستطيعون الإخلاص كل الإخلاص ولا الصدق كل الصدق ولا التوجه بالكلية بحضور الأرواح والقلوب والأجسام والهمم كلها في مناجاة رب البرية عند طاعته وعبادته عز وجل ومن يستطيع ذلك.

الشيخ ابن الفارض رضي الله عنه وأرضاه وقع في ذنب فخرج سائحاً في صحراء المقطم وهو يردد ويقول :

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

فسمع قائلاً يقول:

محمد الهادي الذي عليه جبريل قد هبط

فلا يوجد غيره .. لكن الباقين كلهم ذنوب وعيوب وظلمات وأوزار.

التوبة من نسبة الطاعات

ومنهم من يتوب من نسبة الطاعات إلى نفسه :

.. لأنه لو رأى نفسه أنه عبد أو فعل ولم ينظر إلى توفيق الله ومعونة الله وحول الله وطول الله .. فهذا ذنب يحاسب عليه الله جلّ في علاه لأنه أمرنا أن

نقول في كل ركعة من ركعات الصلاة مقرِّين ومعترفين :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ سورة الفاتحة

نستعين على العبادة بقوة الله وحول الله وطول الله فلو تخلى الله عز وجل بعنايته ومعونته عنا طرفة عين هل يستطيع واحد منا أن يقول سبحان الله؟

من يستطيع بدون معونة من مولاه .:

هل يستطيع أن يكيف جهازه ونفسه ويقف بين يدي الله ويتجه إلى القبلة ويستحضر ألفاظ الصلاة وكلمات الحمد لله رب العالمين ويناجي بها مولاه؟ ..كيف بغير معونة من الله وحول من الله وقوة من الله؟.....ولو تُرك الإنسان ومهارته وشطارته وتخلت عنه القوة الإلهية والمعونة الربانية، ماذا يفعل؟

لن يستطيع أن يفعل قليلاً ولا كثيراً بل إنه لن يستطيع أن يحرك قدماً أو يرفع إصبعاً أو يطرف طرفة أو ينطق اللسان منه بكلمة لأن كل ذلك لا يتحرك إلا بأمر من يقول للشيء كن فيكون .!

ولذلك فإن هؤلاء الذين يزعمون أنهم يعبدون الله بأنفسهم وأنهم هم الذين يعبدون ويطيعون ربما يختبرون يوم الدين في قول الله عز وجل:

﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سورة القلم

لأنه لا معونة هناك فكيف يسجد؟ وكيف يعبد الله؟

ويلزم للإنسان الذي وصل لأعلى درجات العبادة :

أن يتوب من نسبة العبادة إلى ذاته ومن المباهاة بها ومن الفخر بفعلها لأنه يرى أن الفاعل هو الله ويكفيه شرفاً وفخراً أن الله أجرى عليه حركات العبادات

وجعله محلاً للوقوف بين يدي الله عز وجل فيكفيني فخراً أن يوقفني بين يديه ويوجهني لمناجاته بكلامه أو يأخذني إلى بيته ويهيئ لي الأسباب لأطوف حول حضرته وأنا أطوف حول بيته المبارك ..

ماذا لي في ذلك كله إلا معونة الله وتوفيقه... كل ما ذكرناه هي مقامات في التوبة يتوب منها الصالحون .

التوبة من الوجود

ومنهم كذلك من يتوب من وجوده بالكلية .

لأن الإنسان إذا رأى لنفسه وجود مستمد من ذاته فقد وقع في شرك في التوحيد لله عز وجل، فنحن نستمد منه القوة ونستمد منه الحياة ونستمد منه القدرة ونستمد منه الإرادة ونستمد منه العلم ، ولولا ذلك ما استطاع واحد منا أن يصنع بنفسه أو بجسمه شيئاً قليلاً أو كثيراً .

ولذلك يروى أن رجلاً من العارفين دخل ساحة فضله فوجد إخوانه السابقين في العبادة والطاعة يرون أنفسهم على غيرهم فوقف بينهم عند إقامة الصلاة وقال بصوت ليسمعهم الحقيقة :

: "بك ... لك .... أصلي"

وبك يعني بقوتك ومعونتك وتوفيقك .. لك أصلي :

علمت نفسي أني كنت لا شيء فصرت لا شيء في نفسي وفي كلي

به تنزه صرت الآن موجوداً　　به وجودي وإمدادي به حولي
ومن أنا عدم الله جملني　　فصرت صورته العليا بلا نيل

فهناك من يتوب من طاعاته ،
وهناك من يتوب عن وجوده ،
وهناك من يتوب من شهوده.

التوبة من التوبة

وهناك حتى من يتوب من التوبة إذا رأى نفسه هو الذي تاب ومثل هذا يحتاج أن يراجع نفسه بين يدي الكريم الوهاب – ويقول في ذلك رجل للسيدة رابعة العدوية : إني إرتكبت ذنوباً كثيرة فهل لو تبت يتوب الله عز وجل عليَّ ، قالت: لا بل لو تاب الله عليك لتبت .

قال : وما الدليل؟ .....قالت : قول العزيز الحكيم :

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ (الآية ١١٨) التوبة

كيف يتوب عليهم ليتوبوا؟ وما الذي يجعل الإنسان يتوب إلى الله عز وجل؟

إن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ،

فالخواطر التي تتوارد على القلب من الذي يرسلها ويمررها عليه؟ هو الله عز وجل فإذا مرر على قلبي خواطر طيبة شعرت بها أنني قصرت أو أنني أخطأت أو أنني غفلت هنا تتحرك نفسي ويتحرك جسمي للرجوع إلى الله والتوبة إلى الله سبحانه

وتعالى ... إذاً الفضل في هذه التوبة لمن؟...لمن أورد عليَّ الخواطر الإلهية التي أشعرتني وجعلتني أجزم أنني غير طبيعي وأنه يجب عليَّ أن أرجع إلى الله عز وجل .

إذاً البداية من الله .. لكن هل أنا الذي آتي بالخواطر إلى قلبي وأمورها عليه، إن الخاطر من الله وكم في الوجود من يرتكب الذنوب ويفتخر بها بين أقرانه ويرى أنها ليست عيوب بل أحياناً يتباهى بها ويتفاخر بها بين الأنام وهذا لشدة غضب الله عز وجل وسخطه عليه، ولذلك قال حبيبي وقرة عيني صلى الله عليه وسلم :

{ يَا أَبَا ذَرَ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ صَخْرَةٍ، يَخَافُ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهِ، وَالْكَافِرُ يَرى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ ذُبَابٌ يَمُرُّ عَلى أَنْفِهِ } (٥)

فالثاني لم يتوب ؟ فإنه لا يرى ذنبه أما الأول قد لا ينام ولا يذوق طعام ولا يشعر بأي حلاوة على مدى الأيام ، إذا قال كلمة أحزنت شخصا حتى يعلم أن هذا الشخص قد رضي عنه ، أو أخذ حقاً من عبد من عباد الله ولم يرده إليه .!!.. ما الذي يشعر القلب بالوجل والخوف؟ الله عز وجل هو الذي يقول :

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ ﴾ (الآية (٨) الشمس)

هو الذي يورد هذه الموارد على النفس.

---

(٥) جامع الأحاديث و المراسيل والديلمى ، عن أَبي ذَرَ رضى الله عنه ، و تمامه ((يَا أَبَا ذَرَ كُنْ لِلْعَمَلِ بِالتَّقْوى أَشَدَّ اهْتِمَاماً مِنْكَ بِالْعِلْمِ، يَا أَبَا ذَرَ إِنَّ الله إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً جَعَلَ الذُّنُوبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُمَثَّلَةً ._ الحديث أعلاه._ ، يَا أَبَا ذَرَ لاَ تَنْظُرْ إِلى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ، وَلكِن انْظُرْ إِلى عِظَمِ مَنْ عَصَيْتَ، يَا أَبَا ذَرَ لاَ يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ، فَيَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَشْرَبُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ؟ أَمِنْ حِلَ ذلِكَ، أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟».

سر استغفار النبي ﷺ

فسيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ عندما احتار في أمـــر الـــنبي المختار لما تحدث عن نفسه وقال(فى الحديث الذى مرَّ ذكره)

{ إِنَّهُ لَيُغَانُ على قَلْبِي، وإنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليوم مِائَةَ مَرَّةٍ }

قال: نمت وأنا في حيرة من هذا الحديث وإذا برسول الله ﷺ يأتيه في المنام ويقول له :

غين الأنوار لا غين الأغيار يا مبارك.

ما هو غين الأنوار يا حضرات؟

سيدنا رسول الله ﷺ في كل نفس له درجات ومقامـــات لا يعلمها إلا رفيع الدرجات عز وجل فكلما ارتقى إلى مقام رأى أن المقام الذي كان فيه كان غواش أو حجاب حجبه عن الله عز وجل أو عن جمال من جمالات الله أو عن كمال من كمالات سيده ومولاه فيتوب من المقام الذي كان فيه عندما يـــدخل هـــذا المقام الذي يقيمه مولاه عز وجل فيه ... إذاً فإنه لا يتوب من الذنوب أو من الأوزار أو من الغفلة ، وهل غفل عن الله طرفة عين أو أقل؟ لم يحدث... حتى ما حدث لـــه في الصلاة لم يكن نسياناً أو سهوا بمعنى النسيان والسهو المتعارف عليه والموجـــود في أذهان كثير من الخلق، ولذلك قال ﷺ في شأنه :

{ إِنِّي لأَنْسَى أَوْ أُنَسَّى لأَسُنَّ } ٦

---

(٦) موطأ الإمام مالك حديث (٢٢٢) .

لماذا؟ .....ليسَّن لنا سجود السهو لأنه لو لم يحدث فممـــن ســـنتعلم ســـجود السهو إذا لم يفعله سيد الأولين والآخرين؟.... وهو الذي قال:

{ صلُّوا كما رأيتُموني أصلّي }[٧]

فسهوه ليس كسهونا وإنما كما قال الرجل الصالح:

يا سائلي عن رسول الله كيف سها ... والسهو من كل قلب غافل لاه
قد غاب عن كل شيء سره فسهى ... عما سوى الله فالتعظيم لله

سها عما سوى الله – سها بجمال مولاه عن جميع خلـــق الله وهـــو العبـــد الأكمل الذي لا يغيبه الجمال ولا الكمال عن الخلق طرفة عين ولا أقل لأنـــه مقـــام الحبيب الأكمل ، ومثلنا قد يغيب عن الله لحظات ، وليس هناك ما يمنع ذلك ، لكن رسول الله مقامه مقام العبد الأكمل الفارق الجامع فمع الخلق يرونه في وسطهم كأنه أحدهم ، ومع الحق لا يغيب عن حضرته طرفة عين ولا أقل ، لأنه صاحب المـــشهدين وصاحب المقامين وصاحب العينين ، ولذلك يقول ﷺ:

{مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ الله عَلَيَّ رُوحِي ، حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ }[٨]

من أين يردها ؟ ....من الحضرة ......لأنها في السدرة مشغولة بالحـــضرة....، ولا يوجد نفس إلا وهناك مسلمين يسلمون على سيد الأولين والآخـــرين إذاً هـــو في حضور تام مع الحق وفي تواصل تام مع الخلق لأنه الإمام الجـــامع الأعظـــم صلى الله عليه وسلم لا يبغي هذا على ذاك ولا ذاك على هذا :

---

(٧) رواه البخاري فـــي الصحيح عن مـــحمد بن الـــمُثَنَّى عن عبد الوهاب ، و عن أبي سلـــيـــمانَ مالكُ بن الـــحويرث فى سنن البيهقى الكبرى .

(٨) الفتح الكبير ، عن أبـــي هريرة ، و أبو داوود و البيهقى فى الدعوات .

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ ﴾ سورة الرحمن

فهو البرزخ الذي جمع الله فيه البحرين، بحر الحقيقة وبحر الشريعة فهو في أكمل التواصل مع مولاه وهو كذلك مع خلق الله يرونه كأحدهم حتى يقول قائلهم:

﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ (الآية ٧ الفرقان)

﴿ أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ ﴾ (الآية ٢٤ القمر)

إنه لا يختلف عنا في شيء في حين أنه لا يغيب عن مولاه وعن جمال وكمال مولاه بعين بصيرته طرفة عين ولا أقل وهذا هو الكمال الأعظم الذي كان عليه الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم والكمال لانهاية له وكلما ارتقى في درجات الكمال وفي مقامات الوصال من لدن الواحد المتعال ينظر إلى الدرجة التي كان فيها فيستغفر الله منها ويتوب إلى الله عز وجل من رؤيتها أو الوقوف عندها عن حضرته عز وجل لأنه كما قال الله في شأنه:

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ ﴾ سورة النجم

وبمعنى بسيط فلم يشغله مقام عن الله عز وجل طرفة عين ولا أقل ... فيتوب إلى الله ويستغفر الله تتريهاً لله أن يكون المقام الذي كان فيه شغله عن مولاه طرفة عين لأنه لا ينشغل إلا بالله في الدنيا والآخرة ﷺ.

دوام التـــــوبة

إذاً التوبة يا إخواني ...مقام عظيم..!!

يجب على كل مؤمن كريم أن يجعل له نصيباً فيه ، طالما كان في العمر بقية !

ولا يوجد واحد من المقربين أو من الواصلين أو من العارفين يترك مقام التوبـــة طرفة عين ولا اقل .. بل إن التوبة تلازم جميع المقامات ، لكن كما قلت بحسب المقـــام الذي أنا فيه تكون التوبة .

وحتى ينال الإنسان بالتوبة حُبَّ الله ، شرطُها...؟

أن تتغير أحوال التائب من الأحوال التي كان عليها ، إلى الأحوال التي يحبهـــا الله ...،.. ولكن يقول إني تبت ..!!..وهو على ما هو عليه.!!؟؟ لا ينفع...!!..

والدكتور عبدالحليم محمود رحمة الله عليه :

كان له تعليق لطيف في هذا الموضوع قال فيه : بدأ الإمام القـــشيري تراجمـــه (وتراجم يعني سير الصالحين) بسيرة إبراهيم بن أدهم ، والفضيل بن عياض ، وغيرهم ممن كانوا في أوحال الذنوب ، حتى يفتح الباب للمريدين ، ويبسط المقام للمحـــبين ، ليعلموا أن الله عز وجل إذا شاء يُبَدل السوء بحسنات ...

وكان إبراهيم بن أدهم ابن ملك خوارزم في بلاد فارس :

وخرج يوماً للصيد ، وبينما هو يركب فرسه ، ويجري وراء أرنب بري لصيده إذا بالسرج ينطق ، ويقول : يا إبراهيم.!. ألهذا خُلقت؟..!!.. أم بهذا أُمرت ؟..!!..

وذلك حتى نعلم أن التوبة تأتي من الله ، وإذا أراد الله فلا مردَّ لقضاء الله عز وجل ، فنزل من على الفرس وقد وجد حارساً يعمل عند أبيه ، فأعطاه بزّتـــه أي

بدلة الأمراء وملابسه وسلاحه ولبس حلته وهاجر إلى أرض الشام وبدأ توبته إلى الله عز وجل وله من الأحوال الخارقة والكلمات الصادقة ما تتحير فيه العقول ولا وقت لسرد ذلك الآن .

لكن حبذا لو اطلعتم على سير هؤلاء الرجال فقد قال الإمام الجنيد ﷺ: حكايات الصالحين جند من جنود الله تسوق المريدين إلى حضرة الله جل في علاه ، وقد استنبط ذلك من كتاب الله، فلماذا قص الله قصص الأنبياء والمرسلين؟

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

(الآية ١١١ يوسف)

وكذلك الفضيل بن عياض ﷺ هو الرجل الذي ذهب إليه هارون الرشيد في مكة ليستأذنه في زيارته فرفض.

ماذا كانت بداية أمره؟....كان قاطع طريق وله عصابة يرأسها وفي يوم ذهبوا للسطو على منزل ووقف على سطح المنزل يوجههم فسمع قارئاً يقرأ قول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾

(الآية ١٦ الحديد)

فخارت قواه وجلس في مكانه وقال: "آن يا رب" وخرج تائباً وذهب إلى مكة وظل حتى استأذن الرشيد عليه ليزوره فلم يأذن له.

شروط التوبة النصوح

لماذا سرد القشيري ...هذه الحكايات يا إخواني؟

لأن التوبة هنا صاحبها بدل حاله وغير وضعه ، لأن شرط التوبة أولاً : أن يندم على ما فعل ويشعر قلبه بالوجل والخوف من الله عز وجل ..

وأن يقلع عن الذنب فوراً، لكن يتوب ثم يرجع للذنب .. إن هذا استهزاء بحضرة الربوبية ، لكن عليه أن يقلع فوراً عن الذنب ويعزم عزماً أكيداً أن لا يرجع إلى هذا الذنب مرة أخرى إذا كان هذا الذنب بينه وبين مولاه .

أما إذا كان هذا الذنب حقاً من حقوق العباد فلا بد أن يرده إلى صاحبه إن كان مالاً ، وصاحبه حي أو له ورثة فعليه أن يرده له أو لورثته وإن كان لا يعرف أين ذهب ولا يعرف له ورثة فيتصدق عنه ، وإن كان اغتابه في مجلس فلا بد أن يمدحه ويثني عليه في نفس المجلس حتى تُذهب الحسنات السيئات مصداقاً لقول الله:

﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (١١٤) هود

فكل مجلس قدحه وذمّه فيه يسارع إلى مدحه والثناء عليه فيه ، ليكفر هذا الذنب الذي فعله،.

وكان الإمام الشبلي ﷺ حاكماً لولاية من ولايات العراق ورزقه الله نضرة الصالحين وأسرار المقربين ... وعندما وافته المنية أخذ يبكي بكاءاً شديداً فسألوه لم تبكي؟ قال: والله ما أبكي لذنب فما فعلت ذنباً قط .... قالوا: إذاً لم تبكي؟...قال: لأني أخذت درهماً غصباً من رجل وأنا في ولايتي ، فبحثت عنه سنين فلم أجده ، فتصدقت عنه بألوف ، ولكني أخاف أن يطالبني صاحب هذا الدرهم بدرهمه يوم

القيامة.، . وهذه يا إخواني هي أحوال العارفين .

فهل تريد أن تكون من الصالحين و العارفين ، وأنت تأكل حقوق العباد والمساكين هنا وهناك؟

لا يجوز هذا يا إخواني، ولكن يجب أن نمشي خلف رسول الله فإن الحبيب ﷺ بذاته وقف قبل المعركة بين أهله وأصحابه وأتباعه وقال لهم:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِي قَدْ دَنَا مِنِّي حُقُوقٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ ، فَمَن كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْراً فَهذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ مِني ، أَلا وَمَن كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضاً فَهذَا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ مِني ، وَمَن كُنْتُ أَخَذْتُ لَهُ مَالاً ، هذا مَالِي لِيَسْتَقِدْ مِني ، }[9]

إذا كان رسول الله الأعظم ﷺ والذي كان يقول في حديثه الآخر:

{ اللهمَّ إني أَتَّخِذُ عِندَكَ عَهْداً لَنْ تُخْلِفْنِيهِ إنَّمَا أنا بَشَرٌ فأيُّ المؤمنينَ آذيْتُهُ أوْ شَتَمْتُهُ أوْ جَلَدْتُهُ أوْ لَعَنْتُهُ فاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ }[10]

---

(٩) جامع الأحاديث و المراسيل، وَالأَوْسط بنحوه ، وَأَبو يعلى بنَحْوه عَنِ الْفضل بن عبَّاس رَضيَ اللهُ عَنهُمَا . إكماله ((.....لاَ يَقُولَنَّ رَجُلٌ إِنِي أَخْشَى الشَّحْنَاءَ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللهِ ، أَلاَ وَإِنَّ الشَّحْنَاءَ لَيْسَتْ مِنْ طَبِيعَتِي وَلاَ مِنْ شَأْنِي ، أَلاَ وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ ، أَوْ أَحْلَلَنِي فَلَقِيتُ اللهَ وَأَنَا طَيبُ النَّفْسِ ، أَلاَ وَإِنِي لاَ أَرَى مُغْنِياً عَنِي حَتى أَقُولَ مِرَاراً ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَرُدَّهُ ، وَلاَ يَقُلْ فُضُوحُ الدُّنْيَا ، أَلاَ وَإِنَّ فُضوحَ الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ فُضُوحِ الأَخِرَةِ

(١٠) مسند الإمام أحمد عن هَمّام بن منبِّه قال : هٰذا ما حدثنا به أبو هريرة .

ودعاؤه مستجاب ومع ذلك يطلب من إخوانه أن يتحلل وأن يحللوه وأن يسامحوه فما بالنا نحن ؟.......إن الإقتداء بهديه صلى الله عليه وسلم في ذلك أوجب علينا لأن حقوق العباد شرط لمحبة رب العباد عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

(الآية (٢٢٢) البقرة)

وما قلناه الآن يا إخواني هو تفسير الصالحين وهو التفسير الذي ارتضاه الإمام أبو العزائم لقول الله عز وجل:

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾

(الآية (٧٠) الفرقان)

ما تفسيرهم لهذه الآية؟ هو كل ما قلناه الآن :

فكل سيئة يرجو المرء غفرانها فعليه أن يعمل الحسنة التي بها يتم غفران الله عز وجل له ، وذلك كما قلنا فإذا اغتاب رجلا في مجلس فعليه أن يثني عليه ويمدحه في نفس المجلس.... ولا يكون ذلك كما يفهم البعض أن يبدل الله السيئات بحسنات دون أن يرد حقوق العباد، فهذا لا يكون ولكن عليه إذا أخذ حقاً من إنسان أن يرد هذا الحق لهذا الإنسان لكي يبدل الله سيئاته بحسنات ... وإذا شتم عبداً يطلب منه أن يصفح عنه وأن يعفو عنه ويسامحه .. فعلى الإنسان عند كل ذنب يريد أن يتوب منه أن يحدث له عملا صالح يجعل الله عز وجل يعفو عن هذا الذنب فيبدل الله سيئاتهم حسنات، لأن البعض يفهم خطأ أن الله عز وجل يأتي بالصحيفة إذا كان فيها مثلا خمسمائة سيئة يبدلها بخمسمائة حسنة، كيف يكون ذلك؟ لكن أنت الذي تغير :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾
(الآية ١١) الرعد

فإذا أغضبت واحداً واشتكى لحضرة الواحد وتبت وأنبت إلى الله عز وجل وحججت بيت الله لكنك لم تصلح هذا العبد ولم ترجع إليه ليسامحك .. كيف يبدل الله هذا الذنب بحسنة وهو مصر على حقه؟

لا بد أن تعمل له حسنة تجعله يصالحك ويسامحك والله عز وجل ينظر إليك فيبدل الذنب بحسنات، لأنك فعلت الحسنات التي بها يتم غفران هذا الذنب عند الله عز وجل .. وعندما يلاحظ التوابون هذه المعاني يلاحظ الواحد منهم نفسه وحركاته وسكناته ، فيعقل كلماته ويقنن أفعاله وحركاته حتى لا يقول كلاماً يغضب الأنام فيتحير في هذا الأمر في الدنيا ويوم الزحام ، ولا يفعل فعلاً لا يستطيع رده ولا مراجعته .... ما الذي يجعل الصالحين يمشون على الصراط المستقيم ؟

أن الرجل منهم يحاسب نفسه على الأقوال وعلى الأفعال وعلى النوايا وعلى الطوايا لأنه إذا استحدث نية سيئة فهذا ذنب ولكي يتوب إلى الله من هذا الذنب:

﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾
(الآية ٢٨٤) البقرة

فلا بد أن يستحدث نية طيبة لكي يغفر الله النية السيئة الأولى بالنية الطيبة ، وهذا هو حال الصالحين ... لكن هل بمجرد أن يقول تبت إلى الله ورجعت إلى الله وندمت على ما فعلت ... تتم التوبة؟ ..لا ، ولكنها تتم لمن يكون أساساً ملفه خالي من أي قضية أو جنحة أو جناية أو ما شابه ذلك.

والمؤمنون الصادقون يحاولون دائماً أن يغيروا ما بأنفسهم ... ولذلك إذا نظرت إلى مجاهدات الصالحين تجد فيه العجب العجاب .. لماذا؟

لأنهم يجاهدون في مراجعة الذنوب والعيوب ويحاولون أن يفعلوا الأحكام والأفعال التي يستوجبون بها رضى علام الغيوب عز وجل فيحكموا على أنفسهم بهذه الأعمال لكي يستوجبوا رضا الواحد المتعال عز وجل.

جمال التوابين

وكذلك لكي أتجمل بأحوال الصالحين لا بد على الفور أن أترك أحوال الجاهلين والبطالين والعصاة والمذنبين والغافلين جملة واحدة واقبل على الله بالكلية، فالعبد الذي يريد أن يحبه الله عز وجل عليه أن يحاسب نفسه أولاً ويتوب من الذنوب ثم يطهر نفسه من العيوب ويجمل نفسه بجمال الحبيب المحبوب ومن ينظر لعيوبه فلن ينظر لعيوب غيره: "طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس"

ويقيس نفسه بالحبيب .. ولذلك فلن يجلس في أي مجلس ويفتش في عيوب إخوانه.، ويقول الإمام أبو العزائم في ذلك: "تبصرك فيما فيك يكفيك"

فإذا تاب من العيوب ، وتجمل بجمال الحبيب المحبوب، يحاسب نفسه على الغفلات ، واللحظة التي تمر عليه وهو في غفلة يحاسب نفسه عليها حساباً شديداً ثم يحاسب نفسه على الخطرات ، والخاطر الذي يمر بغير ذكر الله .. يقول فيه ابن الفارض رضي الله عنه:

وإن خطرت لي في سواك إرادة على خاطري نفساً حكمت بردتي

والردة هنا معناها :

أن يرجع مرة أخرى لأول الطريق ، فشتان بين مريد يتوب من زلاته ، وبين مريد يتوب من رؤية التقصير في طاعاته ، وبين مريد يتوب من نسبة الطاعات إلى ذاته، وبين مريد يتوب من غفلاته ، ومريد يتوب من خطراته .

وكل هذه اسمها توبة لكن هذه غير هذه.

مقام المتطهرين

إذاً يا إخواني فإن مقام التوبة لا ينتهي أبداً ..

وطالما أن الإنسان يريد الله فلا يترك التوبة طرفة عين ولا أقل لأن الله عز وجل يقول:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾
الآية (٢٢٢) البقرة

وليس المقصود من المتطهرين من يطهرون الجسم بالماء و فقط ، ولكن هناك حكمة عالية قد فسرها لنا الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه فقال:

إن ما يطهر الإنسان !. أن يتذكر أصله ... ما أصله؟

ماء مهين أو سلالة من طين ... فعندما يتذكر أصله ويرجع له يتبين له أنه تراب .. وهل التراب يسمع أو يبصر أو يتكلم ؟

أبـــداً..!!.

فأنت من ماء مهين أو من تراب وطين ، وكل ما زاد عن المـــاء المهـــين وعـــن التراب والطين فهو جمال ربِّ العالمين !!!

فلماذا تنسبه لنفسك ؟ إنَّـــــه من الله ......:

فلا تقول صوتي ، ولا علمي ، ولا نظري ، ولا عقلي ، ولا فكري ، فكل ذلك يجب أن تكون نسبته لله جلَّ في علاه.

طهارة القلوب

إذاً الطهارة ليست طهارة الجوارح بالماء ...

ولكن طهارة القلب بالكليَّة ، من جميع الأمراض التى نعى الله على أهلها في الآيات القرآنية ...

وقال في شأنهم :

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ (الآية (١٠) البقرة)

فهناك طهارة للصلاة ، وهناك طهارة للصلة بالله :

وطهارة الصلة بالله هي : طهارة القلب من كل ما سواه ؛ فيطهِّر القلب مـــن الأحقاد، و الأحساد ، والغلّ ، والكُرْه ، والأثرة ، والأنانيـــة ، وكـــل الـــذنوب ، والصفات .... على إختلاف أنواعها ...

والذنوب أنواع : فهناك ذنوب إبليسية وهناك ذنوب حيوانية وهناك ذنوب جبروتية وهناك ذنوب سبعية .

والذنوب الحيوانية :هي التي يتشبه فيها الإنسان بالحيوان وهي والعياذ بالله الزنا وعمل قوم لوط وما شابه ذلك من هذه الذنوب .

والذنوب الإبليسية : كالمكر والخديعة والإيقاع بين خلق الله والمشي بين الناس بالغيبة والنميمة وما شابه ذلك .

والذنوب السبعية هي كالإختيال بالقوة والفخر بالأحساب والأنساب والتطاول على خلق الله تارة بلسانه وأحياناً بيده وأحياناً بماله .

وأشدها وألعنها وأقواها الذنوب الجبروتية وهي التي يشارك فيها الإنسان الذات العلية في الأسماء التي لها خصوصية ...كأن يتكبر على خلق الله أو أن يتعالى على كل ما سواه ... ولا يكون عنده تواضع للفقراء والمساكين من عباد الله.

لأن الله يقول في حديثه القدسي :

((الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، والعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ)) [11]

ويقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

ألا من يكن في قلبه بعض ذرة من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

فيلزم للإنسان أن يتطهر من كل هذه الصفات وكل هذه الفعال :

---

(١١) صحيح ابن حبان عن أبي هُرَيْرَةَ أن رَسُول الله قال : فيما يَحْكِي عن ربِّه جَلَّ وعلا: .

فيطهر القلب ثم يطهر السر من جميع الأغيار، حتى لا يكون فيه إلا العزيز الغفار ويطهر الروح من الوقوف حتى مع الفتوح ..

يعني لو فتح الله عليه ، ووقف مع الفتح فقد ضيَّع نفسه :

لأنه سيرى أنه من أهل الفتح ويريد من الناس أن تثني عليه بسبب الفتح وتقبل عليه بسبب الفتح ونسي أن الفتح من الفتاح .. إن شاء أبقاه وإن شاء زاده وأغناه وإن شاء خلاّه وهي إرادة الله جل في علاه .

إذن الطهارة هنا ليست طهارة الظواهر فقط:
ولكنها طهارة الظواهر وطهارة البواطن .

وهي ما يريدها الله.

ولذلك قال الله في المتطهرين الذين يتطهرون من كل هذه الأشياء :

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (الآية ١٠٨ التوبة)

نسأل الله عز وجل :

أن يعيننا على العمل بما سمعناه .

وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ،.

وأن يرزقنا دوام رضاه وأن يترع منا كل هوى لا يحبه الله .

وأن يجعل حركاتنا ، و سكناتنا ، وخطراتنا ، ولمم قلوبنا ، وبدوات نفوسنا ، كلها من كتاب الله ، وكلها نبغي بها رضاه .

وألا يشغلنا في الدنيا والآخرة ، إلا بالإقبال على حضرته ، وبحسن المتابعة لحبيبه ومصطفاه .

وصلى الله على سيدنا محمد

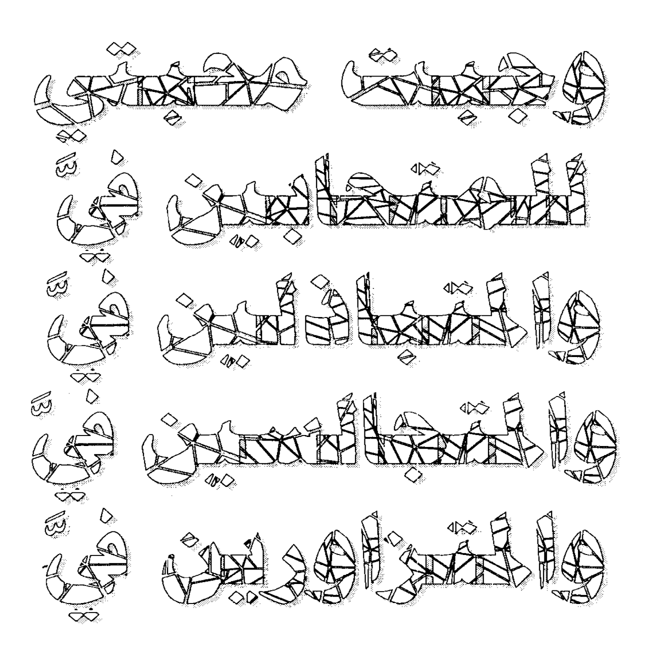
وعلى آله وصحبه وسلم.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

الحبُّ في اللّه (*)

- أوصاف المحبوبين
- الحب الخالص لله
- الجلوس في الله
- منهاج الإخوَّة في الله
- التزاور في الله
- البذل في الله
- أسرار المؤاخاة في الله
- منافع مجالس الإخوان

(*) كانت هذه المحاضرة بمنزل الدكتور حسين الباز ، بمدينة الزقازيق مساء الخميس ١٣ من ذي القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ١٥ من ديسمبر ٢٠٠٥م بعد صلاة العشاء.


وجبت محبتي
للمتحابين فيّ
والمتباذلين فيّ
والمتجالسين فيّ
والمتزاورين فيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ...

على نواله وعطائه وفضله وكرمه وجوده الذي عمم به عباده المؤمنين وخاصة أوليائه والشكر له سبحانه وتعالى على ما أولانا به وأعطانا وتفضل علينا بـــه فهـــدانا لحضرته وأودع في قلوبنا خالص الإيمان به وصدق محبته وجعل في صدورنا إقبالاً ورغباً دائماً في طاعته وتوجهاً صادقاً لإخلاص العمل في كل حال لحضرته والصلاة والسلام على خير نبي أرسله الله عز وجل لخير أمة بخير كتاب سيدنا محمد سيد المـــصطفين الأخيار وإمام أهل الدنيا وسيد أهل الموقف العظيم يوم القرار صلى الله عليه وعلـــى آله الأخيار وصحابته الأبرار وكل من دعا بدعوته ومشى على نهجه إلى يوم القـــرار وعلينا معهم أجمعين بمنك وجودك يا عزيز يا غفار.

إخواني وأحبابي بارك الله عز وجل فيكم أجمعين:

أوصاف المحبوبين

لم حبب الله عز وجل المؤمنين في مجالسة بعضهم؟

بل وبين الدرجات العالية والمقامات الراقية التي أعدها لهم حتى قال عز شأنه وهو الغني ونحن الفقراء إليه في حديثه القدسي المشهور :

((*وجبت محبتي للمتحابين فيّ ،..والمتباذلين فيّ .والمتجالسين فيّ ..،..والمتزاورين فيّ....*))

الله عز وجل الذي لا يُسأل عما يفعل :

والذي يهيمن ولا يهيمن على قراره ولا على فعله ولا تصرفه أحد لأنه وحده هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا شريك له في فعله ولا معاون له في تصريف أمره ولا راد لحكمه ، لأنه حكم عدل قيوم قوي لطيف خبير .

يوجب على نفسه أن يحب قوماً ... ما أوصافهم؟ وما سماهم ؟ وما علاماهم ؟

قد أجملها الله عز وجل في هذا الحديث القدسي العظيم ... ((المتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ والمتحابين فيّ))

أربعة أوصاف ، وأربعة علامات وضعها الله عز وجل ، ومن يتجمل بها فإن الله لا بد وأن يحبه، ... ومن يحبه الله ما الذي له عند مولاه؟

يكفيه تيهاً وشرفاً وفخراً قول حبيب الله ومصطفاه:

{ إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب }[1]

فإن الله عز وجل يقول في شأنه:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ (الآية (١٦) الأحقاف)

يتقبل الله منهم أطيب الأعمال وأفضل الأقوال ويتجاوز عما سوى ذلك لأنه وعد بذلك وهو عز وجل لا يخلف الميعاد....{إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب} ... كيف؟....كما قالت الآية:

---

(١) حلية الأولياء وشعب الإيمان للبيهقي عن عاصم عن الشعبي .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ ﴾

لماذا؟؟

﴿ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الآية(١٦) الأحقاف

من هم هؤلاء القوم؟

الحب الخالص لله

إن أول أوصافهم وأهم علاماتهم أنهم ...

يتحابون في الله ... لا لعلة ولا لغرض ولا لمصلحة عاجلة أو آجلة وإنما محبتهم لبعضهم في الله ولله .. "وجبت محبتي للمتحابين فيّ" أي المتحابين في الله ولله عز وجل يا بشراهم بقول حبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه إذ يقول:

((إن لله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء لمكانتهم وقربهم من الله عز وجل يوم القيامة .)) فقال أصحابه رضوان الله عز وجل عليهم : يا رسول الله أناس ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء .. صفهم لنا وفي رواية جلّهم أي وضحهم لنا، فقال حبيبي وقرة عيني صلى الله عليه وسلم :*((هم أناس من أمتي من قبائل شتى وبلدان شتى توادوا*

بروح الله على غير أرحام بينهم)) _ فلا نسب بينهم ولا عائلة – ولا أموال يتعاطونها فيما بينهم فلا تجارة ولا مصلحة ولا منفعة -(تواودوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فيما بينهم))[٢].. وقسم حضرة النبي وهو الذي يقسم ويقول: ((فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور قدام عرش الرحمن، يوم القيامة يفزع الناس وهم الآمنون ويخاف الناس ولا يخافون)) ثم تلى قول الله عز وجل:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾

(الآية ٦٢: ٦٤) يونس

فيا بشرى لمن يتحابون في الله فإن لهم هذه المنزلة العظيمة يكونون على منابر من نور قدام عرش الرحمن ومعهم لواء الأمان :

﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

لأنهم تحابوا في الله على غير أرحام ولا نسب ولا منافع ولا أي أمر من أمور الدنيا وإنما محبتهم في الله ولله عز وجل.

---

(٢) مسند أحمد بن حنبل وسنن أبي داود والترمذي – الجامع الصحيح عن عمر بن الخطاب وأبي مالك الأشعري

الجلوس في الله

هذه المحبة بين الأحبة حتى تتوثق رابطتها ويقوى شأنها ويجمع الله الأحوال الطيبة التي كانت في أصحاب الحبيب صلى الله عليه وسلم لأهلها يلزم عليهم أن ينفذوا بقية الحديث :.......للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ :

أي لا بد أن أن يتجالسوا ليتعاونوا على البر والتقوى وليعين بعضهم بعضاً على طاعة الله وتقوى الله في ظلمات هذه الحياة ، فإن المؤمن وخاصة في هذه الظلمات الحالكة التي قال فيها الحبيب صلى الله عليه وسلم :

{ألا إنها ستكون فتن كقطع الليل المظلم}[٣].

يحتاج لمن يقوي عزيمته، ويحتاج لمن يشد أزره، ويحتاج لمن يقوي شكيمته في الحق، ويحتاج لمن يحبب له طريق الصدق، ويحتاج لمن يحبب إليه الفضائل والمكرمات التي كان عليها سيد السادات.فلا بد له من مجالسة الإخوة الصالحين الذين يعضدونه ويشدون أزره حتى يتغلب على متاعب هذه الحياة وإلا هوى في واد سحيق .

فإن الدنيا مليئة بالحظوظ والأهواء والمنافقين والكاذبين وغيرهم من الذين يزينون الباطل ويبخسون الحق ويجعلون أهل الحق إذا لم يجالسون بعضهم ويقوي بعضهم بعضاً يرتج عليهم حالهم .

والواحد منهم يتزلزل في نفسه وربما من شدة زلزلته يحتجب في بيته يظن أنه على الباطل وغيره على الحق لأنه يرى الباطل لجلج فالباطل هو الظاهر وهو القوي فلا بد أن يتجالسوا ليشدوا أزرهم.

---

(٣) المعجم الكبير للطبراني ومسند أبو يعلى الموصلي عن جندب بن سفيان .

منهاج الإخوة في الله

ولذلك وضع الحبيب ﷺ

المنهاج لهذه الإخوة فقال في شأنها صلوات ربي وتسليماته عليه :

{ أخوك من إذا نسيت ذكرك ، وإذا ذكرت أعانك }[4]

وهو بذلك يشرح كتاب الله فإن الله عز وجل عندما بين للأمة كلها من بدء البدء إلى نهاية النهايات سبب خطيئة آدم التي بها أُخرج من الجنة :

فإنه أُخرج من الجنة بذنب واحد ، فكيف يطمع غيره ونطمع نحن أن ندخلها ، على الرغم من أننا نرتكب قناطير من الذنوب في كل يوم .

والذنب الذي ارتكبه تاب عليه الله وقبل منه توبته ونحن ربما نسهو عن الذنوب ولا نتوب منها بل ربما بعضنا أن ذنوبه حسنات ويفتخر بها ويتباهى بفعلها بين خلق الله، فذكر الله خطيئة آدم وذكر سببها وبين علة فعلها حتى لا نقع فيها فقال عز شأنه عن آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام:

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ (115) (طه)

ما هو سبب الذنب؟

---

(٤) الأخوان لابن أبي الدنيا عن الحسن .

النسيان وفتور العزيمة، فجاء الحبيب صلى الله عليه وسلم وهو الطبيب الأعظم والمعلم الأكرم بالروشتة التي تعالج هذه الأدواء فقال:

{ ***أخوك من إذا نسيت*** – وهذا علاج النسيان : ﴿فنسي..﴾ - ***من إذا نسيت ذكرك*** – وعلاج وخور العزيمة وضعف العزيمة – ***وإذا ذكرت أعانك*** }

إذاً فعلاج هذه الأدواء هو الأخ الصالح الناصح :

الذي يقول فيه الإمام عمر بن رضي الله عنه:

"عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم عدتك عند البلاء وعونك عند الرخاء"..، عند البلاء تجدهم معك يشدون عضدك وأزرك حتى لا تقع في سخط الله بل تتجمل بما يحبه الله ويرضاه وعند الرخاء يطلبون منك ألا تقف عند النعمة وتنسى المنعم فـ:

﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ ﴾ العلق

بل يطلبون منك كلما توافرت النعم أن تزيد من شكر المنعم حتى تدخل في قول الله:

﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾ الآية (٧) إبراهيم

إذاً لا بد من المجالسة والمجالسة يقول فيها الحبيب صلى الله عليه وسلم ما معناه:

{ ***يُسأل المرءُ عن صحبة ساعة*** }

يعني بذلك أنك لو صحبت رجلاً في الله ولله لمدة ساعة فإنك تسأل عن هذه الصحبة يوم القيامة ، إذا مرض ولم تعده ، وإذا غاب عنك ولم تزره ولم تتفقده ، وإذا احتاج ولم تعنه، وإذا كان مسرورا ولم تشاركه، وإذا كان مهموماً مغموماً ولم تخفف عنه.

كل هذه مسئوليات أوجبها عليك الله ،
وحقوق سنّها لنا حبيب الله ، ومصطفاه لأنها حقوق الإخوان والإخوة في الله جل في علاه .

التزاور فى الله

لا بد من المجالسة ....والمجالسة تحتاج إلى التزاور _ والمتزاورون فيّ — لا بد أن نزر بعضنا بعضاً والزيارة وما أدراك ما الزيارة ..قل فاعلها في هذا الزمان وظن الناس أنهم استغنوا بمالهم وبمناصبهم وبجيوبهم وبأولادهم عن الإخوان في الله وهذا لا يكون أبداً يكفي لمن يزور في الله قول حبيب الله ومصطفاه في الحديث المشهور الذى معناه وقد ورد بطرق عديدة و روايات متعددة :

{ زر في الله فإن من زار أخاً في الله شيعه سبعون ألف ملك يقولون له طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة }

سبعون ألف ملك يحفون بالعبد إن ذهب لزيارة أخ له في الله ..من مثلهم ؟

لا يوجد حتى في زعماء الوجود من يمشي في ركابه سبعون ألف من هؤلاء الجنود الذين عينهم الواحد المعبود ، وطاقاتهم وقدراتهم بغير حدود ، فإن واحداً منهم حمل على ريشة واحدة من جناحه وله سبعون ألف جناح ، مدائن لوط كلها وهي سبع مدائن بما عليها من رجالها ونسائها وبيوتها وحيواناتها إلى السماء السابعة وقلبها في الأرض وصارت بحراً ميتاً إلى يومنا هذا ..وهو جندي واحد من هؤلاء الجنود ... {زر في الله فإن من زار أخاً في الله شيعه سبعون ألف ملك يقولون له طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة } ......

ألا تريد أن تقال لك هذه الكلمات في كل يوم أو في كل اسبوع على الأقل مرة .، ولا يجب أن يترك المؤمن هذا العمل لأن معه هذا الأمل .. يريد أن يسمع دعوات ملائكة الله عز وجل الذين استجاب لهم الله ويستجيب لهم عندما يدعون للرحماء من خلق الله.

بل إن الله عز وجل يقيض لمن يذهب لزيارة أخ له في الله ملائكة يعترضون سبيله وإن كنا لا نراهم بأعيننا لكن أهل الحقائق يرونهم بأبصارهم ويسمعون عذب كلماتهم ويقول في شأنهم الحبيب صلى الله عليه وسلم فيما معنى الحديث :

{ زار أخ أخاً له في الله فاعترضته ملائكة الله وقالوا له أين تذهب؟فقال: لزيارة أخي في الله فلان .،..فقالوا له: هل لك عليك من نعمة تربها يعني تطلبها؟.،..قال: لا ...،.قالوا له:أبشر فإن الله يخبرك أنه يحبك كما أحببته في الله }

يبشرونه بأن الله يحبه لأنه يعمل العمل الذي يحبه الله وهو التآخي في الله وتنفيذ قول الله في كتاب الله :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الآية ١٠ الحجرات)

هذه هي الإخوة التي حببها وعضدها كتاب الله وعززها وفعلها وعمل بها ومدح صانعيها وأهلها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وثواب الإخوة في الله لا يستطيع واحدٌ من الأولين والآخرين أن يبين مداه لأنه في الله ولله وأجره على حضرة الله عز وجل يكفيهم أنهم يوم الدين يجمعهم الله على رؤوس الخلائق أجمعين ويناديهم كما قال في قرآنه العزيز وكلامه العذب الوجيز:

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

(الآية ٦٨ الزخرف)

لا تخافون على شيء ولا من شيء وإذا أمر بهم إلى دار النعيم فإن من كمال التكريم من الرب الرؤوف الرحيم أن يدخلهم معاً يذهبون فوجاً واحداً:

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ مريم

والتفت إلى معنى الآية فإنهم لا يحشرون إلى الموقف ولا لأرض الحساب ولا للميزان ولا للصراط وإنما يحشرون للرحمن:

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾

هم وفود الرحمن عز وجل الذين يجلسون على منابر من نور قدام عرش الرحمن لا شأن لهم بالحساب ولا بالميزان ولا بالصراط ولا ما سوى ذلك :

لأن الله شملهم برعايته وجعلهم في الدنيا من أهل عنايته وفي الآخرة من أهل سعادته وفي الجنة من أهل النظر إلى جمال طلعته فإذا أكرموا بنظرة منه وأمر بهم على تمام التكريم في دار النعيم المقيم :

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾

(٧٣ الزمر)

كذلك يمشون مع بعضهم حتى ورد أن الحبيب صلوات ربي وتسليماته عليه قال في بعضهم وكانوا متآخين في الدنيا ويتجالسون ويتزاورون فيما بينهم ... ادخل الجنة، فيقول يا رب أين أخي فلان؟

فيقول الله تعالى: إنه لم يعمل مثل عملك، ...فيقول: يا رب إني كنت أعمل لي وله "يعني إقسم عملي بيننا نحن الإثنين"..، فيقول الله تعالى: خذ بيد أخيك وادخلا معاً الجنة .

وهذا ما جعل الصالحين قديماً وحديثاً يقولون الناجي منا يأخذ بيد أخيه ، فإن هذه الجلسات هي التي يقول فيها الله لملائكته من فوق السبع طباق:"هم القوم لا يشقى جليسهم" فمن يجلس معهم لا يشقى أبداً يعطيهم الله عز وجل ما يطلبون ويؤمنهم مما يخافون فيقولون: يا ربنا إن فيهم فلاناً ليس منهم وإنما جاء لحاجة فيقول الله تعالى:

{ هم القوم لا يشقى جليسهم }[٥]

(٥) صحيح مسلم ، عن أبي هريرة .

فمن يجلس معهم يسعد بسعادتهم ولذلك كان القوم يقولون اللهم لا تجعل في حضرتنا شقياً ولا محروماً، لأن الخير الذي يترل من الله والعطاء الذي يتترل من فضل حبيب الله ومصطفاه يعم الجميع لأن الكريم كرمه واسع لا يحد.

البذل في الله

إذاً نلزم الزيارة في الله ولله عز وجل ..

والزيارة تستلزم كما كان يفعل أصحاب رسول الله ...:

"والمتباذلين فيّ" فقد ورد عنهم أنهم كانوا إذا اجتمعوا لم يتفرقوا إلا على ذواق أي شيء يذوقونه، قد يكون تمراً، وقد تكون فاكهة، وقد يكون طعاماً، المهم أنهم يجتمعون على شيء يتذوقونه فيما بينهم لأن الرحمة تتترل عليهم وهم يتناولون أقوات الله لأنهم يشكرون الله عز وجل على عطاياه .

وفيهم يقول حبيب الله ومصطفاه ﷺ من أكل مع قوم مغفور لهم غفر الله عز وجل له ، وكان هدفهم نوال مغفرة الله وليس من اجل الأكل والشرب وهؤلاء القوم من أجل ما بيّن الله ، تآخوا في الله لكي يحوزوا هذه المكرمات وينالوا هذه الدرجات العظيمات ويكونون من المعنيين بقول الله:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الآية (٦٧) الزخرف

ومن أجل أن تتحقق الإخوة يجب كما قلنا أن تكـــون المحبـــة في الله ولله وأن يكون هناك تجالس في الله وتزاور في الله، وأن يكون هناك عمل بقول حبيب الله ومصطفاه :

{ تهادوا تحابوا }[٦] وفى الرواية الأخرى : ((توادوا تحابوا))

يجب أن يكون هناك مودة لكـــي تنتـــشر المحبـــة بـــين الأحبـــة ... تـــوادوا تحابوا.وكذلك يلزم البذل لأن أهل المدينة فازوا وجازوا ببذلهم وإيثارهم ووقايتـــهم ، لشح أنفسهم وقد قال الله عزَّ وجلَّ في شأنهم:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (الآية (٩) الحشر)

ما صفاتهم؟

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

ثم حكم الله لهم بالفلاح فقال في شأنهم:

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الآية (٩) الحشر)

---

(٦) عن أبى هريرة ، سنن البيهقى الكبرى .

أسرار المؤاخاة في الله

لماذا حبب الله عز وجل ، ورغب رسوله صلى الله عليه وسلم في مجالسة المؤمنين لبعضهم ؟

إذا كان نبي الله وكليم الله سيدنا موسى عليه السلام عندما توجه إلى مولاه وناجاه وفتح الله عز وجل له باب الإجابة وأمره أن يعرض طلباته ويتحقق أنها مستجابة، ماذا طلب من الله؟

لم يطلب داراً ولاعقاراً ولا مالاً ولا شيئا من طغام الدنيا وحطامها الفاني لأنه يعلم أن هذه الأمور انتهى منها الله عز وجل قبل خلق الكائنات فقد قال صلى الله عليه وسلم :

{ *إن الله خلق الدنيا وقدر فيها أقواتها قبل خلق آدم بألفي عام* }[7]

وكل واحد له رزقه المقسوم والمعلوم الذي خصصه له الحي القيوم ... ماذا طلب؟اسمعوا إلى أعز طلب طلبه من الله:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ ﴾

[طه: ٢٥-٢٨]

كل طلب مما سبق كلمة واحدة ...لكن انظروا إلى الطلب القادم :﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ ﴾ من الوزير؟... فصَّله..فقال...:

(٧) المستدرك على الصحيحين للحاكم عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما

﴿ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ﴾ [سورة طه]

وأخذ يذكر المبررات لكن الطلبات السابقة كان يطلب الطلب وحسب مثل اشرح لي صدري، ويسر لي أمري وحسب ..لكنه هنا جاء بالمبررات ..هارون أخي .

... لماذا ؟

﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۝٣٢ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝٣٥ ﴾

[الآيات (٣١ : ٣٥) طه]

إذاً سر الأخوة التي طلبها سيدنا موسى وفقط من أنبياء الله ثلاثة .:. يشد أزر الإنسان ، ويشارك الإنسان في أمره ، .....ويشاوره في آرائه وفي أحواله ....فيستبين وجه الصواب :

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الآية (٣٨) الشورى]

وكذلك يساعد الإنسان على ذكر الله والتسبيح لله.

أيحتاج كليم الله إلى أخ يعينه على ذكر الله ؟...نعم،..!!.... إذاً ماذا نحتاج نحن ونحن الضعفاء؟

﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝٣٥ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦ ﴾

[الآيات (٣٢ : ٣٦) طه]

لأنه قد فتح له باب الإجابة :

ولذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نور الوجود وباب السعود لكل موجود وكنز الحق المشهود والرحمة العظمى التي هي أغلى لنا وعندنا من الآباء والجدود والذي أعطاه الله كنوز العطاء وأمره أن يتصرف فيها بغير حدود ومع ذلك جاء بإخوانه وأمرهم أن يتآخوا على أن يكون لكل واحد أخ على الأقل في الله وهو بينهم ، وذلك عندما هاجر إلى المدينة، ألم يأمر أن يكون لكل واحد أخ ؟

ماذا يفعل الأخ؟

قال: يشاركه ... يحضر واحد منهم المجلس مع رسول الله ويكون الآخر في عمله أو في راحته ، ... ثم بعد ذلك يذهب هذا لعمله ويحضر الآخر لكي لا يفوت الاثنين شيء ويخبر الشاهد الغائب في أثناء غيابه بما شاهد وما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم ويعينون بعضا ويشدون أزر بعض .

وقد قام بمؤاخاتهم إلى أن بقى سيدنا الإمام علي ولم يتبق له أخ فقال لسيدنا علي: "يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة " فحتى سيدنا رسول الله جعل لنفسه أخا وهو سيدنا علي ....:

{ أنت أخي في الدنيا والآخرة أنت مني بمنزلة هارون من موسى }[8]

إذا كان من رفعه الله ورفع شأنه وقدره وقال له في صريح القرآن:

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ (الآيات (٢: ٤) الشرح)

---

(٨) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، عن ابن عباس ﷺ .

جعل لنفسه أخاً يؤاخيه في الله فكيف بالواحد منا يعيش في هذا العصر ... عصر الظلمات والحظوظ والأهواء من غير أخ ... إذاً سيسقط في أقل فخ من التي ينصبها الشيطان ومن التي تعينه فيها النفس التي وصفها الرحمن بأنها أمارة بالسوء ... من الذي سينبه الإنسان؟

إنه الأخ المذكر ... وهو من إذا نسيت ذكرك وإذا ذكرت أعانك .

سيدنا عمر ﷺ ذهب الأخ الذي آخاه في الله عز وجل إلى بلاد الشام فسأل عنه فجاء من يخبره بأنه يتعاطى الخمر ..فقال عمر: أعطوني ورقة وقلماً وكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

:﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣ ﴾ (الآيات (١:٣) غافر)

وتحت الآية كتب إذا بلغك كتابي هذا فانزع عما أنت فيه وتب على ربك عز وجل، لماذا؟

كانوا جميعاً يقولون :

سيدنا أنس وسيدنا أبو هريرة وسيدنا أبو الدرداء .. كانوا يقولون: "أخذ علينا العهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننصح لكل مؤمن"

لماذا نتآخى إذاً؟..لكي ننصح بعض ... هل ننصح بعض بالدنيا؟

إن الدنيا لا تحتاج من أحد أن ينصح الآخر فيها فلو ترك الإنسان أمر الدنيا لنفسه فإن نفسه تعرف حيل الدنيا وخدعها جيداً ، لكن يجب أن تكون النصيحة في

التعريف بالدنيا ، حتى لا تضحك علينا وتشغلنا عمن يقول للشيء كن فيكون ونقول كما قال الله في شأن قوم في (الآية ١٠٠) المؤمنون :

﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

أو يقول الإنسان عند خروجه من الدنيا:

﴿ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (الآية ٥٦) الزمر

فالمهم أن تعرف منزلتك عند خروجك من الدنيا؟

فإذا كان معك خمسين دكتوراه من الدنيا فإنها كلها زائلة وباطلة لكنك عند خروجك من هنا وعند باب جمارك البرزخ تجد مكتوباً:

﴿ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (الآية ١٦٣) آل عمران

ما درجة هذا القادم لكي يستقبلوه؟ ...يا ترى هل يأتي الجماعة المخبرين لكي يقبضوا عليه؟....وهذا وارد،..؟؟.....أو يا ترى هل سيأتي جماعة من ملائكة الرحمة ليستقبلوه؟.....أو يا ترى هل سيأتي زعماء الملائكة لكي يعظموه؟ ....أو يا ترى هل سيأتي الصالحين والنبيين لكي يبشروه؟...أو يا ترى سيأتي الأمين جبريل والحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم لكي يهنئوه؟

وكل واحد على حسب درجته ومنزلته :

﴿ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

فدرجتك هي ما قدمت يداك وما قدمته طوالك. . . (الآية ١١٠ البقرة)

﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

فقد أخذوا العهد على بعضهم أن ينصحوا بعضهم البعض، لكن من يقول لا شأن لي فهذه ليست إخوة في الله ولله عز وجل ولكنها أحوال البطالين وقريباً والعياذ بالله من أحوال المنافقين... ولكن أحوال المؤمنين هي: "الدين النصيحة" ومن لا يقبل النصيحة فليس منهم :

﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأعراف

فإن هذا والعياذ بالله ليس من صفوف المؤمنين لأن المؤمن يقبل النصيحة من أخيه حتى ولو كان أقل منه . وكان سيدنا عمر يقول: "رحم الله امرءا أهدى إليّ عيوب نفسي".

ولذلك عندما ذهبت النصيحة لمن يتعاطى الخمر قال: جزى الله عمر عني خيراً تبت إلى الله ورجعت إلى الله وأنبت إلى الله وعاهد الله عز وجل ألا يعود لهذا الذنب مرة أخرى أبداً ..

وهذه كانت أحوال أصحاب رسول الله ولهم في هذا المجال أمثلة لا تعد ولا تحد يضيق عن ذكرها المقال ولكنها موجودة في صحف السيرة العطرة وطبقات الصحابة رضي الله عز وجل عنهم وأرضاهم أجمعين.

منافع مجالس الإخوان

ولما جاء السلف الصالح رضي الله عز وجل عنهم أجمعين ، أداموا هذا الأمر وقالوا نمشي على العهد عملاً بقول الله جلّ في علاه :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ (الآية ٩٠ الأنعام)

ماذا كانوا يفعلون ؟

كانوا يجلسون مع بعضهم :

وهذه المجالس كانت تخلو من الغيبة والنميمة ولا تجد فيها قيل ولا قال ..ولا ذكر الدنيا ولا الأمور الفانية .

إنما تذكير بالآخرة والأعمال الصالحة والأخلاق الراقية ليعينوا بعضهم البعض على السير إلى الله جل في علاه لكي يخرج الواحد منهم من الدنيا ومعه شهادة تقدير من العلي القدير ..

ماذا كان يفعل أصحاب رسول الله؟

تروى لنا كتب السيرة أن رسول الله كان يدخل المسجد :فيجد مجالس متعددة:فمنهم مجلس أهله يقرءون القرآن ومجلس أهله يذكرون الله فكان يقول كلاهما على خير ، وكان سيدنا عبدالله بن رواحة ﷺ يهتم بمن يدخلون حديثاً في دين الله من الأعراب ويجمعهم في المسجد ويقول تعالوا نؤمن بالله ساعة ، شرح لهم قواعد الإيمان وأركان الإيمان الصحيح الذي يؤدي إلى مقام المراقبة لحضرة الرحمن عز شأنه ، لأن الإيمان لن يصح إلا إذا وصل الإنسان لمقام المراقبة لحضرة الرقيب.

أما إذا كان الإيمان في الكتب وانعدمت المراقبة في القلب يكون الإيمان هش وضعيف أما الإيمان القوي فهو:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الآية ٤٦ الرحمن)

كإيمان أصحاب رسول الله .. وكذلك الصالحون :لـوا علـى أنفـسهم أن يسيروا على هذا المنهج .. فماذا يفعلون؟

قالوا نحب بعضنا في الله .. ومن يحبون بعضهم في الله لا بد أن يجلسوا مـع بعضهم مجلس خير وبركة قد يكون مرة في الأسبوع أو مرتين في الأسبوع ونجعلها مواعيد ثابتة لكي نعين بعضنا على طلب الآخرة ... ماذا نفعل في هذه المجالس؟

إما أن نتلوا آيات من كتاب الله أو نستغفر الله أو نصلي على حبيب الله ومصطفاه أو نذكر الله أو نسمع العلم من عبد فتح عليه مولاه أو نـروح النفـوس ببعض الحكم الدينية التي أقرها الصالحون وكانت في عصر رسول الله وسمع مثلـها حبيب الله ومصطفاه .

وهذه هي المجالس التي وظفوها وجعلوها لكي يدخل الإنسان في قـول الله : ((وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ))

ولذلك سموها مجلس ، وبعض الناس يقولون عليها حضرة .

ولكنها ليست كذلك، وإنما مجلس كما قال الله ((للمتجالسين فيّ)) ، وسيدنا رسول الله قالوا عنه وجد مجلساً للعلم، إذاً فهي مجالس العلم أو مجالس القـرآن أو مجالس الذكر وإذا كانت هذه المجالس تشمل كل ما سبق نقول عليها مجالس الإخوان.

لكن الحضرة فإنها حضرة الله جل في علاه :

ولا نستطيع أن نصل لذلك ، لأن ذلك يستوجب حالة عالية وغالية من الصفاء والنقاء والإطلاع بعين القلب على عالم الطهر والجمال والبهاء والضياء.

فإذا لمع في قلوب الأصفياء نور حضرة البقاء ونظروا بعين البقاء إلى الباقي عز شأنه كانوا في حضرة جليت عن الكلام وتعالت عن الحديث لأنها حضرة فيها حضور بين يدي المذكور عز وجل ..

وهذا ما جعل الصالحين يحافظون على هذه المجالس ، لماذا؟

لأنه لا بد للإنسان من جلسات يقوى فيها قلبه ، وينقي فيها نفسه، ويصفي فيها صدره ، لكي يستطيع أن يواجه أعباء هذه الحياة، لكن لو أن الإنسان كرس حياته من العمل، إلى المشاكل، للمتاعب، للأحاديث التي تعكر البال وتكدر صفو القلب .. ما الذي سيحدث؟

ستنتابه الأمراض وتتوالى عليه الأعراض كما نرى خلق الله الآن والذين ابتعدوا عن نهج المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ولكن آباءنا رحمة الله عز وجل عليهم أجمعين والذين كانوا يسيرون على هذا النهج من منهم كان يذهب للدكتور؟

لا أحد لأنه كان يفرغ هذه الشحنات مرتين في الأسبوع:

يذهب إلى المجلس فيفرغ شحنات الدنيا والمشاكل والمشاغل إلى حضرة الله والله عز وجل كان يتولى ببركة هذه المجالس تفريج الكروب واستجابة الدعاء وتحقيق الرجاء.

لكن الناس في هذا الزمان ولأنهم تعلموا العلوم الدنيوية هُيئ لكل واحد منهم أنه يستطيع أن يعمل بنفسه لنفسه كأن يستطيع أن يسعد نفسه أو يبني نفسه ويستطيع أن يؤمن أولاده فكان ما نحن فيه الآن ..

فقد تجتهد إلى أن تجعل ابنك مهندساً أو طبيباً أو غيره....وبعد ذلك أين يعمل وكيف ومن أين يتزوج؟ وأين يسكن؟ وذلك لأنك حملت نفسك الهم !!

أما آباؤنا فقد تركوا الأمر على الله :

ولذلك لم يتعب منهم أحد أبداً وقد كنا ماشين بــالله وراضين عما يفعلــوه معنا ولم يكن منا من يستطيع أن يتبرم أو يتضايق أو يطلب كذا أو كذا كمــا يفعــل أبناؤنا الآن معنا،.

وكانوا في راحة البال وعندما ينتهي إبنه من الدراسة يقول له تحمّــل نفــسك وأعطينا من دخلك ما يساعدنا على تربية إخوتك ... والله كان يعين الجميع لأنهــم رموا الحمول على الله فتولى الأمور حضرة الله ... لكننا الآن أصبحنا شُطار:

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ (الآية (٧٨) القصص)

فيقول أحدهم أنا شاطر وماهر وأعرف السوق وأعرف كــذا وكــذا وهــذا موجود الآن .. إذاً اجتهد يا شاطر، ماذا تفعل يا شاطر ؟

لكن لو توكلنا على الله ومشينا على النهج الذي وضعه لنا ســيدنا رســول الله سندخل جميعاً في قول الله:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (الطلاق)

وحسبه يعني كافيه ويكفيه الله عز وجل ... كانت هذه أحــوالهم وكانــت البركات تعم البلاد لأن رب العباد وخالق البلاد قال:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الآية (٩٦) الأعراف)

البركة ستنزل من فوق وتخرج من تحت .

لكن ستأتي الخيرات بدون بركات ماذا تفعل؟

فلن تسد ولن تمد، لذلك كان آباؤنا الأولين الماشين على نهج الصالحين مسرورين وكانت أحوالهم دائماً في رضى وفي تقى وفي عزة بسر اعتمادهم وتوكلهم على رب العالمين عز وجل.

وكما قال الإمام علي وهذه روشتته: "من أراد غنىً بغير مال ، وعزاً بغير عشيرة ، وعلماً بغير تعلُّم ، فعليه بتقوى الله عز وجل" وهذا هو السلاح الأقوى الذي نستطيع به أن نواجه ظلمات هذه الحياة .

وكيف تأتي التقوى؟

من مجالسة الأتقياء، ومن مجالسة العلماء، ومن مجالسة الحكماء، ومن مجالسة الأصفياء، وهذه المجالسات تنزع من النفس فطرها وعواهنها وتجعل المرء مؤهلاً لأن يسير مع الله ومن سار مع الله عز وجل كفاه الله سبحانه وتعالى كل مؤنة ... وكانت أحوال البلاد في تحسن وكانت الأخلاق فيها محبة ومودة وألفة.

لكن عندما قلَّت هذه المجالس :

رأينا الأضغان والأحقاد والأحساد وانتشرت الشرور بغير حد في كل ربوع البلاد ... حتى أن الإنسان الكريم الحليم ذو الخلق العظيم يحتار في قضاء مصالحه ، لأنه لن يجد من يقدر هذا الخلق ويقدر هذه المكارم لأن الناس الآن

كأنهم في غابة ، وقد يكون لسكان الغابة بروتوكولات بينهم لكننا ليس مثلهم .

فسلطان الغابة وهو الأسد علمه الله بسجيته وفطرته مكارم الأخلاق :

فإنه لا يأكل من صيد غيره فلا يأكل إلا من صيد نفسه وإذا وجد شيئاً صاده غيره تأبى عليه عزته أن يأكل منه ولا يأكل مما صاده إلا مرة واحدة ويترك باقي ما صاده للعجزة من الحيوانات التي حوله لكي يقتاتوا.

أين هذه الأخلاق حتى بين عظام البشر الآن؟ فحتى أخلاق أهل الغابة لم نصل إليها إلى الآن ....!!.... من أين يأتي مثل ذلك ؟

فإن يوم الجمعة التي تكون فيه الموعظة:

لا يدخل أحد الجامع إلا عند إقامة الصلاة لكي لا يسمعوا الخطبة ،وإذا جاء حديث ديني في التليفزيون لا يسمعه أحد لأنهم يريدون المسلسل أو الفيلم ، ولا وقت عندهم للأحاديث الدينية مع إن الحديث دقائق معدودة ولكن لا يجد من لديه الوقت ليسمعه ..

وإذا اشترى الصحف يكون كل همه في الكرة والتليفزيون والكلام الذي لا ينفع ولكنه قد يضر. أين إذاً من يقرأ كتابه لكي يسير إلى الله ويحسن أخلاقه وأحواله مع عباد الله؟

ولم يعد الصغير يحترم الكبير ويسمع منه النصيحة ولا الكبير يستطيع أن يقدم النصيحة لأنه ربما يواجه بشتيمة وفضيحة فأصبحت الأمور لا مرد لها إلا بالرجوع إلى أحوال السلف الصالح وأحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام العظام.

فلا بد أن تنتشر مجالس الهدى من جديد، مجالس الخير، مجالس النصيحة، مجالس البر، مجالس الذكر الذي يرقق القلب والفؤاد، مجالس الرحمة، مجالس المودة:

وهذا هو السر في أن الله عز وجل :

أمنا ووجه الحبيب صلى الله عليه وسلم النصائح والأحاديث المتتالية إلينا للمداومة على هذه المجالس والمداومة على سماع هذه النصائح لكي نجدد أحوالنا ونستغرق أوقاتنا في طاعة الله وننتشل أنفسنا من ظلمات ومشاكل ومتاعب وعناء هذه الحياة فنكمل المسيرة إلى الله فإذا خرجنا من الدنيا فرحنا وقلنا كما قال كتاب الله:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (الآية (٣٤) فاطر)

نسأل الله أن يجملنا بأحوال أصحاب النبي المجتبى ، ن يكرمنا بالتقوى ، جملنا بالعلم ويزيننا بالحلم ، جعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الخامس

الابتلاء للأصفياء (*)

- الابتلاء للعطاء
- العهد الأول بين الله وخلقه
- حكمة الخلق الجديد
- كنز الحقائق
- برهان صدق الإيمان
- سر ابتلاء الأصفياء
- تنوع الابتلاء للرسل والأنبياء
- لله الحجة البالغة
- غرس الإيمان

(*) كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٢ من ذي الحجة ١٤٢٦هـ ، الموافق ١٢ من يناير ٢٠٠٦، م بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي محافظة القاهرة..

وَلَنَبْلُوَنَّكُم

بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ

وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ

ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ ۗ

وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ

ٱلصَّٰبِرِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي كرمنا بالإيمان وزيننا بالإسـلام وجعلنـا بفـضله وكرمه من عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، والصلاة والسلام علـى روح الوجود كله علواً وسفلاً والقلب الأعلى لكل واصل والأمل الأغلى لكل عارف والبغية العظمى لكل فرد لله طالب وقائم سيدنا محمد إمام المهتدين وسيد أهل التقى في الدنيا وشفيعنا أجمعين يوم الدين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته المهتـدين وكل من سار على دربه ومشى على نهجه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين.

إخواني وأحبابي بارك الله عز وجل فيكم أجمعين ما زال حديثنا موصـولاً في باب آخر وحلقة أخرى من كيف يحبك الله وحلقة اليوم تفرضها المناسبة الكريمة التي نحن فيها في هذه الأيام الحج إلى بيت الله والتضحية وعيد الأضحى وبهمـا نتـذكر إبراهيم خليل الله وإسماعيل صادق الوعد كما حدث عنه مولاه ومن بعـدهم ومـن قبلهم من الأنبياء والمرسلين أجمعين عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام وفيهم يقول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (الآية (١٠٦) الصافات)

ابتلاهم الله بلاءا مبيناواضحا

الابتلاء للعطاء

هل الله عز وجل يبتلي أعز أحبابه وأفضل مخلوقاته وهم أنبياء الله ورسله؟

نعم ولو رجعنا لكتاب الله وإلى أحاديث حبيب الله ومصطفاه نجدهما يفيضان بالأحاديث الجمة عما تعرض له أنبياء الله ورسل الله من أنواع البلاء التي صبها عليهم الله جل في علاه ومنها ما أشار إليه الرحمن عن سيدنا إبراهيم عليه السلام إذ يقول عز وجل:

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ (الآية (١٢٤) البقرة)

فليس بلاءا واحداً لأنه عبر بكلمات وكلمات يعني أنواع من البلاء .. وما النتيجة؟ ..فأتمهن، أي أتمهن كما يحب مولاه وكما يرضى الله فكانت النتيجة:

﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (الآية (١٢٤) البقرة)

أي أن الله اختاره للإمامة ، والإمامة في هذا المقام هي النبوة والرسالة ، فكأنه لا عطاء إلا بعد بلاء وكما قال مولانا الإمام أبو العزائم ﷺ: "لا منحة إلا بعد محنة ولا عطية إلا بعد بلية"ومن أراد العطاء بغير بلاء فقد رام المحال لأن الله لم يرضى ذلك لأنبيائه ورسله وهم أعز الخلق عنده بل إن الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم أشار إلى القاعدة الإلهية الشاملة لجميع البرية في هذا المقام وهي التي يدور حديثنا عنها اليوم فقال صلوات ربي وتسليماته عليه:

{إذا أحب الله عبداً ابتلاه – لماذا؟ – فإذا رضي اصطفاه وإذا صبر اجتباه} ١

---

(١) شعب الإيمان للبيهقى عن ابن مسعود .

مقامان لا ثالث لهما في تقبل بلاء الله .. فمن يتقبل هذا البلاء بالرضا عن الله تكون النتيجة أن الله يصطفيه ويجعله من المصطفين الأخيار ويدخل في قول الله عز شأنه :

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (الآية ٧٥ الحج)

والرضا يعني أن يرى هذا الفعل من ربه فيسلم لأمر ربه ولا تنازع نفسه فيما قضى به ربه .. فلا يتقبل البلاء على مضض ولا حرج ولا ضيق ولا زهق بما قضى الله ... وليس معنى ذلك أن يترك البلاء بدون مدافعة ، لكن يدفع البلاء قدر طاقته وإذا وجد في النهاية أنه عاجز عن دفعه بكل طاقته يعلم أنها إرادة الله فيرضى بما قضى الله ويسلم الأمر لله ويعمل بقول الله لحبيبه ومصطفاه فيمن أراد الله أن يحبوهم بمقام الاصطفاء:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الآية ٦٥ سورة النساء)

فيسلم بما قضى به الله فإن في ذلك الخير كل الخير.

لأن الله يجتبيه ويصطفيه كما أنبأ النبي صلى الله عليه وسلم وإذا لم يستطع أن يكسب نفسه مقام الرضا عليه أن يصبر والصبر أن يتقبل الأمر على مضض ، لكنه لا يجزع ولا يهلع ولا يقول ولا يفعل شيئاً يغضب الله عز وجل ، وهذا مقام الصبر الجميل "وإذا صبر اجتباه" وهناك فارق كبير بين المصطفين الأخيار وبين المجتبين الأطهار

لأن هؤلاء أهل مقام وهؤلاء بعدهم بآلاف الدرجات في الرفعة والمقـام عنـد رفيـع الدرجات ذو العرش المجيد عز وجل.

العهد الأول بين الله وخلقه

إن الله يا أحباب أخذ العهد على جميع الخلق :

وهم أرواح نورانية أو نفوس ظلمانية ظهرت في صورة روحانية فكـان منـهم الأرواح النورانية وهي أرواح المؤمنين والمسلمين والمحسنين والمتقين والموقنين ، وهنـاك نفوس ظلمانية وهي نفوس الكافرين والجاحدين والمشركين والبعيدين عن رب العالمين.

جمع الله عز وجل أرواح ونفوس الجميع حيث لا حيث ولا أين ولا تـسأل أين لأن الأين للمكان وهم كانوا في حضرة قبل خلق المكان وقبل خلـق الزمـان في حضرة الربوبية للواحد الديان ، وحضرة الربوبية قريبة العهد بعالم الظهـور وقبلـها حضرة الألوهية وقبلها حضرة الهوية ، حضرات كثيرة لا يعلمها إلا أهل اليقين الذين دخلوا مدرج اليقين وتلقوا بأرواحهم من سيد أهل الـيقين صلى الله عليه وسلم .. والكافر يا إخواني ليس له روح ولا قلب وإنما له نفس .. لكـن الأرواح والقلـوب للمؤمنين والمتقين والبيان في قول الله عز وجل وفي كلامه سبحانه يقول :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ (الآية ٣٧ ق)

أي لمن له قلب إذاً ليس كل إنسان له قلب ونقصد بالقلب: القلب الذي يعقل عن الله وليس القلب الموجود في هذا الجسم أي قطعة اللحم الصنوبرية لكن القلب المقصود هو الحقيقة الغيبية النورانية التي تعقل عن الله وتتلقى كـلام الله وتفقـه حديث حبيب الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم ، هذا القلب عناية من الله لأهل

التقى والإيمان في كل زمان ومكان أما الكافرين فهم أهل نفوس، والروح مقام خاص يقول فيه الفتاح:

﴿ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ الآية(١٥) غافر

لا تقل إن فلان روحه تفارقنا ولكن قل إن نفسه تفارقنا، لا بد أن تكون دقيقاً في الإجابة وإجابتك توافق بيان الله وحديث رسول الله .. من الذي يمت في كتاب الله ؟

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الآية(٤٢) الزمر

الأنفس :

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ ﴾

وهذا للكافرين :

﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾ الآية(٩٣) الانعام

حتى المؤمنين هل يقول فيهم الله: يا أيتها الروح المطمئنة؟ لا ولكن يقول:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾ الآية(٢٧) الفجر

لأن الروح لا تموت لأنها صفة الحي الذي لا يموت فهي من أمر الله فأخذت صفة الدوام من الله فلا تموت ولا تفوت، فالجسم يفنى والنفس تفنى أو تذوق الموت ولكن الروح لا تموت أبد الآبدين لأنها من الله عز وجل:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ الآية(٢٩) الحجر

فتأخذ صفة الدوام لأنها من الدائم عز وجل وهذه لا يحصل عليها كـافر ولا مشرك ولا سافل وإنما يخص الله عز وجل بها عباده المقربين والمحسنين والمتقين الذين يخصهم بهذه الروح العالية التي هي من الله رب العالمين عز وجل وإلا ب الله عليك قس هذه القضية المنطقية العقلية من فيه روح من الله أيجوز أن يعذبه الله وهو فيـه روح من مولاه؟

لا يجوز إذ كيف يعذبه الله وهو فيه روح من الله عز وجل .. هذه الـروح وهي سر الفتوح تحفظه من عذاب الخزي ومن عذاب البعد ومن عـذاب الـصدود والهجران وتجعله دائماً وأبداً في حضرة الرحمن كما قال صريح القرآن:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ الآية (١٢٨) النحل.

أردت أن أوضح بعض اللبس الذي ينشأ عند بعضنا في الجامعة الحقية التي جمعنا فيها الله عز وجل في يوم الميثاق ، وإن أردت شبيهاً لها تقريباً لوصفها ففي آيـات الله ذلك فعندما أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم .. أمـرهم بالـسجود وكان من جملتهم لأنه شاركهم في عبادهم ، وإن كان ليس من نورانيتهم وشـفافيتهم إبليس عليه لعنة الله ، وقد صدر له الأمر لأنه وسطهم وبينهم ولكن الله عز وجل بين سر إبائه فقال في كتابه:

﴿ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ الآية (٥٠) الكهف

أصله كان من الجن لكنه عندما عاش بينهم وشاركهم في العبادة أخذ أوصافهم وإنطبق عليه حالهم فالنعيم الذي كانوا فيه كان يشاركهم فيه والأمر الذي صدر لهـم

صدر له معهم لأن الله يريد أن يعليهم ويرقيهم بالسجود لآدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .

وهي نفس الحقيقة :

فهؤلاء المؤمنون أرواح نورانية وهؤلاء الكافرون نفوس ظلمانية تجلى الله عز وجل لهؤلاء بجماله ولرسله وأنبيائه بكماله وللضالين وللمشركين والجاحدين والكافرين بقهره وانتقامه وكلها أسماء الله فإن الله عز وجل له أسماء كمال تجلى بها لأهل الكمال وله أسماء جمال تجلى بها لأهل الجمال وأهل الوصال وله أسماء جلال أسماء قهر وانتقام تجلى بها على الجاحدين والكافرين ليقهرهم على النطق بكلمة التوحيد ليكون له عليهم الحجة يوم لقائه عز وجل يوم الدين حتى يكون الأمر ، كما قال الله:

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ ﴾ (الآية (١٤٩) الأنعام)

فتكون الحجة من الله لجميع خلق الله .. وكما تعلمون فهناك فرق بين صنفين من ولدك .. بين من يطيعك راضياً ويريد المزيد وبين من يطيعك رغماً عنه لأن يرى شدتك وبأسك وصولتك فيتقي شرك ويطيعك ، ولو وجد فرصة لعصى وامتنع عن الطاعة فكان الأمر هناك في حضرة الله عز وجل ، لا مناص من الطاعة والكل رأى وواجه ، رأى ما يليق به من جمال الله أو كمال الله أو جلال الله وليست الرؤية واحدة ، والكل نطق وعبر عما يشعر به نحو مولاه ، ومن عظيم كلام الله أنه ساق هذا الخطاب كله في كلمة جامعة واحدة ، لا يستطيع أحد أن يلمح ما فيها من هذه التباينات إلا عباد الله العارفون الذين أشرقت أرواحهم على هذا الوادي المبين ، فرأوا بفضل الله عز وجل أسرار بدء التكوين فقال في (الآية (١٧٢) الأعراف):

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾

قالوا بلى بمحبة ، وهم خيار الأحبة ، والآخرون قالوا بلى مقهورين ومرغمين ويودون أن يفروا من هذا الموقف العظيم ، لأن نفوسهم لا تميل إلا للدناءات والمعاصي والمخالفات ، فتريد أن تفر من هذا الموقف بأي كيفية من الكيفيات ، فقالوا بلى فسجل عليهم الحق قوله :

﴿ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾

الآية (١٧٢) الأعراف

وهنا ثبتت الحجة لرب العالمين عز وجل على الخلق أجمعين.

حكمة الخلق الجديد

فأراد الله عز وجل وهو الفعال لما يريد أن يضع أقدار ومقادير ورتب العبيد فجعل لهم خلقا جديد يترلون به إلى هذه الحياة الدنيا ليختبر صدقهم في ترديد كلمة التوحيد ولذلك قال ربي عز شأنه مبيناً سبب ما نحن جميعاً فيه:

﴿ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ الآية (١٥) ق

ما سبب اللبس؟ ......الخلق الجديد وهو ما نحن فيه الآن ...

وهو هذا الهيكل المصنوع من عناصر الأرض ... من الطين ومن التراب ومن الماء المهين ... لأنه يميل إلى هذه العناصر ويميل إلى ما منه قد صنع وما منه أوجد فيميل إليها بالكلية ولولا حفظ ربي عز وجل للعطية ما استطاع واحد منا أن يحفظ هذه العطية الإلهية ......: (الآية (٦٤) يوسف) ...:

﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

فكانت حكمة الله في توارد الخلق إلى هذه الدنيا .. بينّها وقال عز شأنه :

﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

(الآية (١-٢) الملك)

كما قال ربي عز شأنه في الحقائق النورانية التي لا ترى بالعين الجسمانية:

﴿ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (الآية (٨٣) يس)

والملكوت هو عالم الأنوار والأسرار الذي ليس فيه أغيار وليس فيه فجار وإنما أهله هم أهل الصفاء والطهر من الملائكة المقربين وأهل عالين وعليين وأهل العبادة والطاعة الدائمة لرب العالمين عز وجل:

﴿ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾

أي خلقه بيد .. وقال في هذا الملك الذي نحن فيه :

﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾

كل ما على الأرض من زينة ومن خلق ومن كائنات من حيوانات، من طيـــور، من حشرات، من نباتات، من بحار وأنهار .. كلها خلقها الله بيده وقال فيـــك أيهـــا الإنسان معاتباً من رفض السجود فيك لأبيك:

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (الآية (٧٥) ص)؟!

أي أنك يا أيها الإنسان قد جمعت الإثنين ففيك الملك والملكوت.

كنز الحقائق

وأنت الوحيد الذي فيك الملك والملكوت،...

فإن الملائكة فيها الملكوت فقط وكل ما على الدنيا فيه الملك فقـــط وأنـــت الوحيد الذي فيك الملك والملكوت ..

. فيك عالم الغيب .. الروح والقلب والفؤاد والعقل والعوالم النورانية التي فيك وفيك عالم الشهادة والشهادة هي ما تراه العين .. فيك كل شـــيء أوجـــده الله في الدنيا، كل عناصر الخلق فيك وكل ذرات الأنوار فيك فأنت الفرد الجـــامع لخالقـــك وباريك عز وجل .. لأن فيك جمع الله عز وجل الحقائق كلها ولذلك يقول إمامنـــا عليّ ﷺ وكرم الله وجهه:

أتزعم انك جرم صغير ... وفيك إنطوى العالم الأكبر

دواؤك فيك وما تبصر ... وداؤك منك ولا تشعر

ولذلك حتى مولانا الإمام أبو العزائم ﷺ يتممه وقد كسي لسانه بنور الحــق فيقول:

يا صورة الرحمن والنور العلي	يا سدرة الأوصاف والغيب الجلي
فيك العوالم كلها طويت فهل	ادركت سرأ فيك من معنى الولي

فالعوالم كلها فيك .. كل العوالم العالية والدانية .. فالسماء هي مافيك من عالم الطهر والنقاء والصفاء والأرض هي هذا الجسم وما يحويه من عناصــر هــذه الأرض والقلب هو النور الذي يترل فيه النور الذي يقول فيه الديهور :

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الآية ٣٥) (النور)

والسر هو باب البر الذي يفتح على سر الأســرار وتريــاق الأغيــار وروح الأخيار ويأتيك منه المدد من كنوز المواهب من عند العزيز الغفار عز وجل والذي فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن شئت رأيت فيك كل الحقــائق العاليــة والعناصر الدانية .. فالعالية اسمها حقائق والدانية اسمها عناصر .. كل الحقائق العاليــة وكل العناصر الدانية فيك وفيها يقول الإمام أبو العزائم ﷺ: "تبصرك فيمــا فيــك يكفيك "

كل شيء فيك .. فيك جبال، وفيك أنهار، وفيك وديان، وفيك سهول، فيــك كل شيء في الوجود من عناصر وكل شيء من عالم الطهر من حقائق ولكن هذا يحتاج إلى أن تدير عدسات التليفزيون النورانية الإلهية التي أودعها فيك خالقــك وباريــك فترى فيك مالا يستطيع أحد أن ينعته من الأولين والآخرين وإليه الإشارة بقــول الله عز شأنه :

﴿سنريهم ﴾– وهذا في المستقبل– ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (الآية ٥٣ فصلت)

فأنت مختصر الأكوان ، والأكوان هي السر الجامع الذي في الإنسان بأجلى توضيح وأرقى بيان .

فأنت كون صغير ، والكون كله إنسان كبير .

لأن كل ما في الكون فيك ، فأنت ريموت كنترول رباني كل كنوز ، الكون العالية والدانية معك مفاتيحها وإن شئت حركتها ، وإن شئت دخلتها ، وإن شئت وزعت منها على أن تأخذ الإذن من صاحب الإذن ﷺ .

لكن كل شيء معك وليس خارجك .

فالإنسان فيه كل ما في الأكوان وهذا أمر لا أريد شرحه بالتفصيل لأن الإنسان يحب أن يمشي فيه ويجول فيه بفكره بعد نقاء سره وجلاء فؤاده فيرى بنور الله ما جعله فيه مولاه، لكن لا يرى بنور الحظوظ ولا بظلمات الأهواء ولا بالدنيا الدنية إذا كانت مسيطرة على أرجاء القلب فإن كل هذه تجعل الرؤية دنية فلا بد من طهارة القلب بالكلية وصفاء السر لرب البرية حتى يرى الإنسان بعين اليقين ويكون كما قال رب العالمين:

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ﴾ (الآية ٥:٧ التكاثر)

ثم بعد ذلك :

﴿ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ (الآية (٨) التكاثر)

أي سنرى النعيم .. كيف ؟

كما قال مولانا أبو العزائم رضي الله عنه:

بعين الروح لا عين العقول ... شهدت الغيب في حال الوصول

برهان صدق الإيمان

فأنزل الله بني الإنسان إلى هذه الأكوان .. :

على أدوار بعد أن صنع هذا الهيكل من أطوار ، ليرى صدق إيمانهم ومدى صفاء ردودهم فيعطي لكل منهم درجاته التي إدخرها له عنده عز وجل ولذلك أشار إلى هذه الحقيقة وقال عز شأنه :

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (الآية (١-٢) العنكبوت)

وهذا لا يكون ، لماذا يا رب؟

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

- لما الحكمة؟ وما السر يا إلهي .. في (الآية (٣) العنكبوت)؟

﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾

إذ كيف سيعرف هذا من ذاك؟ ......فعند البلاء تظهر حقيقة الأنبـــاء الـــتي رددها الإنسان في عالم الطهر والصفاء ، وهذا سر تقدير البلاء على الناس أجمعـــين في هذه الدنيا .

سر ابتلاء الأصفياء

أما اجتباء وابتلاء المرسلين والنبيين والمؤمنين فهو:

لرفع درجاتهم ولتعظيم مقاماتهم لأن الله لا يختبرهم وإياكم أن يقول أحد من إخواننا العلماء أن الله يختبر بالبلاء الأنبياء ... وهل الله عز وجل يختـــبر أنبيـــاءه ورسله؟.......وهل يختبر عباده المؤمنين الذين ارتضاهم لهذا الدين؟ .....لا.......لكن يختبر الكافرين والجاحدين والمشركين .

ولكن سر البلاء للنبيين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين ، هو لرفعة المقدار وزيادة المقام ، وأقلهم شأناً لزيادة الأجر والثواب ، وأضعفهم حالاً تطهيره من الذنوب التي تستوجب العقاب .

فإذا كان ضعيفاً ولا يستطيع منع نفسه من الذنوب فإن الله يبتليه ليطهره من هذه الذنوب إذا فهو ليس إختبار وذلك لكي تعرفوا الفارق بين الاثنين ولا تعممـــوا كلام حضرة الله ...وإذا كان ضعيف في العبادة لله عز وجل فإن الله يبتليه ليزيد له الأجر والثواب،..وإذا كانت عنده مطامح للدرجات العالية والمقامات الراقية وليس له همة تواتيه وتوافقه على بلوغ هذه المقامات والدرجات فإن الله يبتليه ليرفعه بهـــا إلى هذه الدرجات وهذه المقامات ولذلك يبين الله عز وجل لخليله سر ابتلاءه له :

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ (الآية ١٢٤) البقرة

ما هذه الكلمات؟.......إن فيها أقاويل كثيرة لأئمة التفسير وللعلماء العاملين وللأولياء والصالحين .. لكنها وفي جملتها بلاء في نفسه وبلاء في قلبه وبـــلاء في أهلـــه وبلاء في ولده وبلاء في ماله وقد حددها الله وبينها، فيم ستبلونا يا رب ؟

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾

(الآية ١٥٥) البقرة

قال له: وبشر الصابرين وذلك لأنهم ليس معك في المترلة.. وما حال الراضين؟ إنهم معك ولا يحتاجون للبشارة لأنهم بلغوا المراد ... :

﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ (الآية ٦٩) النساء

فهل من يركبون الطائرة معاً عند عودهم من الحج يهنئون بعـــضهم بـــسلامة الوصول وقبول الحج ؟.....لا، لكن من يستقبلونهم هم الذين يهنئون :

﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾

(الآية ٦٩) النساء

نسأل الله هذه الرفقة الطيبة المباركة .

فقال له ربُّه : يا إبراهيم أتدرى لم سميتك خليلاً ؟.. أي لماذا أخذت هذه الرتبة؟

﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥ ﴾ (الآية (١٢٥) النساء)

قال: لا يا رب؟ ...قال: "لأنك جعلت بدنك للنيران ، ومالك للضيفان ، وقلبك للرحمن ، وولدك للقربان"

فمن يريد الخلة عليه أن يكون جاهزاً لمثل لهذه الأمور لكي يصبح خليلاً لله ولذلك فإن ربنا ينصحنا ويقول:

﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى ﴾ (الآية (١٢٥) البقرة)

أين مقام إبراهيم؟ هل هو ذلك الحجر الذي هناك؟.......إنه موضع أقدام الخليل ولكن مقامه هو مقام الخلة !!!!.. واتخذوه مصلى أي عليكم أن تحاولوا الوصول إليه ورتبوا أنفسكم وجهزوا أرواحكم أن تعملوا وتفعلوا لتنالوا مقام الخلة لأنه هو المقام العظيم عند العظيم عز وجل... ومقام الخلة علاماته وبشاراته :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ (الآية (٧٥) الأنعام)

إذا فهو ليس وحده في الفصل ، لأنه كما أشارت الآية فإن الموقنين كثير .. فأول واحد في الكشف هو سيدنا إبراهيم .. لكن الكشف يحوي كثير غيره .. وهم الموقنون وأهل اليقين .

الذين اعدوا للبلاء الرضا عن الله عز وجل في كل وقت وحين وجهزوا لحضرته الرضا من أنفسهم فلا يتغير حالهم ولا يتوتر شأنهم ولا ترهق نفوسهم ولا يتعكر مزاجهم ولا يروح ويجئ فكرهم لأنهم على يقين أن محبوبهم إذا ابتلاهم فإنما ليجتبيهم ويصطفيهم ويبلغهم مقام عظيم عنده ولا شيء غير ذلك لأننا خرجنا من

دائرة الإختبار بفضل الله ولأننا من الأطهار والأخيار ... وبذلك قد وضحنا البلاء وبيناه بالنسبة لأنبياء الله ورسل الله والصالحين من عباد الله أجمعين في هذه الدنيا،........وقد يقول واحد منا لماذا لا يعطينا الله عز وجل هذه المقامات العالية وهي مقامات الإجتباء والاصطفاء بدون بلاء؟

لأن الله عز وجل آل على نفسه العدل وحرم على نفسه الظلم:

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الآية (٤٦) فصلت)

وحتى يكشف الله لجميع أهل الموقف أن هؤلاء ما أخذوا إلا ما يستحقونه ... ودس الله عز وجل في خفية عن العيون مدد لطفه ومعونته وتوفيقه للأتقياء الأنقياء فقبل أن يترل لهم أو عليهم البلاء يترل عليهم مدد اللطف والمعونة من السماء حتى إذا نزل البلاء كانوا جاهزين لتحمل الأمر والرضا عن الله فسبحان من انزل البلاء وأعان عليه ثم يثيب ويرفع الذكر والأجر عليه وهذا توفيق من الله وبالله وإليه لعباد الله عز وجل المؤمنين.

لكن الله لو انزل علينا ذرة واحدة من البلاء بدون لطف ومعونة من السماء هل يستطيع الواحد منا أن يتحمل شكة إبرة؟

لا والله يا إخواني لكنه يترل جند لطفه ومعونته وتوفيقه، ثم يترل البلاء ليزيد الأجر والثواب ، أو يخفف الذنوب ويستر العيوب، أو يرفع المقام ويجعل هذا الإنسان من عباد الله الصالحين الذين استحقوا الدرجة العظيمة عند ربِّ العالمين عزَّ وجلَّ.

تنوع الابتلاء للرسل والأنبياء

ولذلك . . .

فإن الله يضرب لنا المثل تلو المثل بأنبيائه ورسله :

وقد نوع عليهم ألوان البلاء حتى لا تظن أنك وحدك الذي أفردت بالبلاء فلك مثل وأسوة وقدوة في كل بلاء بعباد الله المرسلين والنبيين وليس الأتقياء فقط ، فإذا أدخلت السجن ظلماً فإن يوسف دخل السجن ظلماً ، وإذا حرمت من الأب والأم صغيراً بغير جريرة ولا سبب فإن رسول الله وكذلك يوسف قد حرما من الأب والأم بلا ذنب ولا جريرة ، وإذا تعرضت لجبارين فإن كل أنبياء الله تعرضوا لأعتى الجبابرة ، إبراهيم للنمروذ وموسى لفرعون ورسول الله لأبي جهل وقد قال فيه: فرعوني أشد عليَّ من فرعون أخي موسى عليه .

وإذا كنت قد حرمت من نعمة الولد فإن إبراهيم لم يحصل على الولد إلا عند الثمانين عاماً ، وبعد أن أعطاه الله مناه أمره أن يأخذه وأمه ويجعلهم في صحراء جرداء لا زرع فيها ولا أنيس ولا ماء ، وبعد أن بلغ ريعان الشباب وأصبح يسر الناظرين أمره أن يذبحه حتى لا تبقى في قلبه شعبة لغير رب العالمين ، لكي لا ينشغل إلا بالله جل في علاه ، وهنا سر آخر من أسرار البلاء أن الله يريد من العبد ألا ينشغل إلا بمولاه فإذا مال القلب لأي ناحية من الأنحاء سلط الله عليه البلاء ليرجع إلى الله ويقول : يا رب ادفع عني هذا أو سهل لي هذا، فيرجع إلى الله فلا يرد العبد إلى مولاه إلا البلاء الذي يتعرض له في هذه الحياة .. لكن لو غطى بالنعيم:

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾

(الآية (٦-٧) العلق)

وإذا كنت لم ترزق إلا بالبنات فإن نبي الله لوط لم يرزق إلا بالبنات ، وحبيبنا صلى الله عليه وسلم لم يعش له من جملة أولاده إلا البنات ، وإن كنت تقــول الــدنيا ومشاغلها تشغلني عن طاعة الله فما عذرك الذي تقدمه إلى الله إن أقــام عليــك الحجة وقال لك : أيهما كان أشغل أنت أم النبي الملك سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، الذي سخر الله له الريح وسخر الله له الجن وأتاه ملكا لم يأته أحد من الأولين والآخرين ، ومع ذلك لم ينشغل عن الله طرفة عين .

وإن كانت تحدثك نفسك أنك مشغول بالعبادة :

فلا يجب أن تسعى لتحصيل القوت وعلى الخلق أن يعينوك ويكفونك القوت ، فقل لها وهل بلغت في العبادة مبلغ داود عليه السلام وقد قال في شــأنه نبينــا عليــه أفضل الصلاة وأتم السلام

{ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده }[٢]

وإن زعمت أنك تيأس من رحمة الله لأنك لا تجد من يعينك في بلدتك علــى طاعة الله ولا تجد إخواناً فقد قال الله في شأن لوط:

﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾
(الآية (٣٦) الذاريات)

ومع ذلك لم ينشغل عن عبادة الله لحظة أو أقل.

################################

(٢) صحيح البخارى ، عن المقدام رضى الله عنه .

لله الحُجَّةُ البالغة

وهكذا أقام الله الحجَّة على عباده أجمعين بالنبيين والمرسلين ، ثم أقام الحجَّة في كل عصر بالأولياء والصالحين ، فإن الله نوَّع عليهم البلاء ، وأقامهم في أصناف الابتلاء ، ليكونوا حجَّة على الخلق في زمانهم حتى يكون لله الحجَّة البالغة .

ستقول كيف أصل إلى الله وأنا مشغول بالسعي على الأرزاق .. يقول لك الكريم الخلاق: اعلم علم اليقين أن أكمل الأولياء في زمانك وفي عصرك لا تشغلهم المشاغل الكونية رغم شدتها وزحامها عن الصلة بالله وعن دعوة الخلق إلى الله وعن القيام بمهام الرسالة التي كلفهم بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فما عذرك أيها المتواني وما قولك أيها القاعد والمتقاعد والمتكاسل؟!

وإن قلت إن ما معي من المال لا يكفي لدعوة الله والعيال يقول لك المولى عزَّ شأنه :أتشك في الرزاق وأنت ترى مدى إغداقه وإكرامه الذي يملأ به الصالحين في زمانك وفي غير زمانك ، حتى أن الناس تحسبهم وجهاء وبعض الناس الجهلاء يحسبهم أغنياء من شدة تعززهم بالله وولاية الله التي شملتهم في هذه الحياة .،

عليك أن تقبل على الله وانظر ماذا سيصنع معك الله وهل رأيت مقبلا على الله تركه مولاه وتخلى عنه لسواه؟!

لا يكون ذلك أبداً وهو الذي يقول:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ (الآية (٢) الطلاق)

إذاً حُجَّةُ الله على الخلق : هم الأنبياء والمرسلون السابقون ، والأولياء والأفراد المعاصرون في كل زمان ومكان ..،.. هكذا حكم الله ، ولذلك طلب منا الحبيب أن نقرأ قصص الأنبياء ، وقال في شأنهم ربي عزَّ وجلَّ....:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾
(الآية ١١١ يوسف)

وكان الحبيب يقص عنهم ويخبر عنهم وكذلك الصالحون أمرونا أن نقرأ قصص الصالحين لنمشي على نهجهم ونسير على هديهم وقد قال الإمام الجنيد ﷺ في شأنهم:

"حكايات الصالحين جند من جند الله تقوى قلوب المريدين على السير إلى حضرة الله جل في علاه".وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

غرس الإيمان

والشيء الوحيد الذي يحفظ العبد من الافتتان ويوفقه للرضا عن الله في كل وقت وآن : هو غرس الإيمان في صدره ، وتثبيت جذوره في قلبه ، ولذلك فإننا نتسائل لماذا أمرنا الله عز وجل أن نحتفي كل عام بالأعمال التي قام بها إبراهيم وزوجاته وإسماعيل؟....و يجيب الله على ذلك فيقول في كتابه:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾
(الآية ١١١ يوسف)

دروس عظيمة ، ومن جملة هذه الدروس درس سار عليه خليل الله وكل أنبياء الله ورسل الله ، هذا الدرس جعلهم في حياتهم الدنيا يعيشون حياة هانئة .. زوجات قانتات مطيعات وأبناء بررة كرام لا يحدث بينهم وبين زوجاتهم مشكلات ولا بينهم وبين أبنائهم معضلات ولا خلافات ولا منازعات .. ناهيك عن فضل الله

العظيم وثوابه الكريم في الدنيا ويوم الدين، ما هذا الدرس الذي نريد أن نتعلمه أجمعين؟.... هذا الدرس يشير إليه الخليل إبراهيم ومن بعده اسحق ويعقوب ومن وليهم وتبعهم من النبيين فيحكي عنهم الله قولهم:

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (البقرة)

الدرس الأول الذى يلقنونه لأبنائهم وزوجاتهم :.....هو الإيمان بالله عز وجل، الثقة في الله وتفويض الأمور كلها لحضرة الله، والإعتماد في قضاء كل مصلحة وكل ملمة وكل أمر على حضرة الله ، والاستعانة بتوفيق الله ومعونة وقوة الله على إنجاز أي أمر أو أي مهمة ، وإذا جاءت مشكلة أو كارثة أو نكبة رفعوا الأمر إلى الله وفوضوه لحضرة الله فيدفع الله عنهم ببأسه وقوته كل كرب وكل شدة ذلكم هو ملخص قصة إبراهيم وزوجاته وأبنائه أجمعين.

أول درس يلقنه له قبل تعلم اللغات وقبل دراسة الرياضيات وقبل الجلوس أمام الكمبيوترات وقبل مشاهدة الشاشات والفضائيات أن نحصن قلوبهم بتقوى الله وأن نملأ صدورهم بمراقبة الله ونعلمهم علم اليقين قول الله جل في علاه:

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾

وبعد ذلك:

﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (الآية ٧ المجادلة)

وإذا استوعبوا هذا الدرس ، نم قرير العين فإن زوجك لن تعصى لك أمـــراً ، وإن ابنك لن يخالفك في طرفة عين أو أقل لأنهم معك في تقوى الله وطاعة الله حتى ولو أحاط بهم ألد الأعداء ، ووجهوا بأعتى الطغاة فإن الله يجعل لهم مخرجـاً ببركـة تقوى الله جل في علاه: تلكم هذه القصة :

هذه هي الزوجه الجميلة التى كانت أجمل نساء حواء بعد حواء السيدة ســارة ساقها الجنود الأشداء إلى فرعون مصر ، وكان رجلاً شهوانياً لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيل ، ماذا تصنع بعـد أن اختلـى بها والجنـود يحيطـون بالمكـان مـن كـل الجهات؟.....رفعت القلب والأكف إلى من بيد ه الخلق والأمر كله وهي تعلم علـم اليقين قول رب العالمين ..... (الآية (٢-٣) سورة الطلاق):

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾

ماذا كانت النتيجة؟....مد يده إليها فشلت يده فاستغاث بها وقال لها: إدعي ربك أن يحل عن يدي ما هي فيه وأعاهدك ألا أمدها إليك مرة ثانية ، فـدعت الله فاستجاب لها الله ففكت يده بأمر الله ، لكن الشيطان دار برأسه ونفسه لعبـت بجسمه وحسه فنكث وعده وهم بأن يمد يده إليها مرة أخرى ، ماذا كانت النتيجة؟

تخشَّب جسمه كله إلا لسانه ، وأصبح وكأنه قطعة من الـثلج ، فأســرع إلى الإستغاثة بها وصاح وبأعلى صوته يدعوا جنده ، ويقول لهم أخرجوا هذه الشيطانة من عندى ، ويعاهدها على أنها إن دعت الله فرجع إلى حالته فلن يمسها بسوء ، ويغنيها من خير الله وفضل الله جل في علاه......العجب في هذه القصة ليس من تخـشيب يده أو جسمه ، ولكن أنها إذا دعت الله يستجيب لها ويفك يده ويفـك جـسمه، فكأنها معنية بقول الله :

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ (الآية ٣٤ الزمر)

وكانت في ذاك الوقت لا تخشى من فرعون ، ولكنها كانت تخاف من شدة غيرة إبراهيم ، فأسرعت إليه وهي ترتجف من شدة الخوف ، خوفاً من الظنون التي ربما يظنها فيها والوساوس التى هى على يقين أن الله يحفظه منها ولكن النفس البشرية لها تداعيات إنسانية فلما وقفت أمامه وأرادت، أن تحدثه قال لها : لا تخافي لقد كشف الله القناع عن بصري ، فرأيت كل شيء يحدث لك وأنا في مكاني :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الآية ٧٥ الأنعام)

فأعطاها فرعون جارية تخدمها وأعطاها من خيرات الله التي عنده ما تغنى به وزوجها أبد الدهر ، ولما كانت لا تنجب قالت برضاء خاطر : يا إبراهيم تزوج بهاجر لعل الله يرزقك بولد منها يكون قرة عين لي ولك ، فرزقه الله عز وجل منها الولد، وإياك أن تصدق قول اليهود ومن عاونهم أنها غارت من هاجر وابنها ، فقالت له إرميهما في الصحراء، لأنها لو كانت قد غارت من هاجر وابنها وطلبت منه أن يبعدهما عنها وإبراهيم رجل عاقل حكيم لكان أبعدهما في بيت آخر في نفس البلدة أو أسكنهما في بلدة قريبة فيها أناس يأتنسون بهم وفيها طعام وشراب وما يحتاجون إليه ، لكن لماذا أخذهما إلى الصحراء التى ليس فيها زرع ولا ماء ولا أنيس ولا شيء؟

ليعطينا الله عز وجل الدرس الأمثل في تعليم أنبياء الله فإن إبراهيم بمجرد أن تزوج هاجر كان أحرص ما يحرص عليه أن يلقنها درس الإيمان والثقة بالله جل في علاه قبل أن يقضي شهوته وقبل أن يقضي حاجته ... كانت مهمته الأولى مع زوجته أن يحصنها بتقوى الله وصدق الإيمان في الله جل في علاه ولذلك عندما

تركها وابنها في هذا المكان ومشى دار هذا الحوار ...قالت له: يا إبراهيم لمن تتركنـــا هاهنا؟....فلم يجبها !!...فكررت السؤال مرتين ولم يجبها فقالت في الثالثة: أالله أمرك بهذا؟.....قال : نعم ! ...قالت: إذن لا يضيعنا..!.....فلم تنازعـــه ولم تحاكمـــه ولم تشاتمه ولم تقل له لائمة وهو حقها ... لم تتركنا في هذا المكان الذي لا زرع فيـــه ولا ماء فيه ولا أنيس فيه؟

لكنه علمها أن الله لا يضيع أهل الإيمان بالله جل في علاه ، ولذلك عندما نفذ زادها ونفذ ماؤها وجاع صبيها واحتارت في رضاعه ، أخذت تمشي مهرولة بـــين الصفا والمروة وهي مسرعة تبحث له عن ماء ، وأخيراً وجدت الطيور فوقه فخـــشيت عليه فأسرعت إليه فوجدت الماء قد نبع من تحت قدميه وجبريل أمين وحـــي الـــسماء يقف بجواره يحرسه من طغيان الماء ، لأن الماء فار ولو ترك الوليد لغرق في هـــذا المـــاء الذي خرج من هذه الأرض ، فأخذت تزمه وتقول زمي زمي وقال لها الأمين جبريل: يا أمة الله لا تخشي الضيعة فإن الله عز وجل قيض لهذا الوليد وأبيه أن يبنيا بيتاً لله في هذا المكان ، فاطمأنت إلى صنع الله وعلمت أن الله عز وجل لا يـــضيع مـــن اعتمد عليه في أي شأن وفي أي أمر مهما انقطعت الأسباب ، لكـــن بـــاب مـــسبب الأسباب يحل كل المشاكل في الوقت والحين لأنه يرزق من يشاء بغير حساب.

ثم إن الغلام كان أول درس لقنه له أبوه هو الإيمان، هل يوافق ولد علـــى أن يقوم أبوه بذبحه ويستسلم له ولا ينازعه؟..وهل يجرأ والد أن يشاور ولده في ذبحه؟

بل إنه إذا أراد ذبحه يأخذه على غرة، وفجأة ولا يشاوره لأنه يعلم مسبقاً أنه لن يرضى بهذا الصنيع، لكن الأستاذ العظيم في الإيمان في الله يعلم أن تلميذه النجيب في درس الإيمان بالله سيستسلم معه لأمر الله فقال له كما قال كتاب الله:

﴿ يَـٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ ﴾

لو قال له إن الله أمرني بذبحك لكان هذا سهلاً على الغلام أن يصدق به ويستسلم له ولو قال إن وحي السماء وأمير الوحي نزل بكتاب من الله يأمرني بذبحك لكان عليه أن يصدق ويستسلم لأمر الله لكن البلاء شديد ..قال:

﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ (الآية (١٠٢) الصافات)

ماذا قال الغلام الذي تعلم درس الإيمان ؟

﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الآية (١٠٢) الصافات)

من الذي عرف الغلام أن ذلك أمر وأن رؤيا الأنبياء وحي وأنها أمر من الله عز وجل؟ ....ثم انقلب الولد وإذ به هو الذي يسدي النصيحة لأبيه ويخاف على أبيه من أن يتقاعس في تنفيذ أمر الله .. الولد الذي سيذبح هو الذي يقول لأبيه يا أبت اشحذ المدية يعني حمي السكين جيداً واربطني جيداً بالحبال وكبني على وجهي حتى لا تنظر إلى وجهي فتأخذك الشفقة في تنفيذ أمر الله عز وجل وانزع القميص عنى حتى لا يقع عليه الدم فتراه أمي فتحزن ..!!....الولد الذي سيذبح هو الذي ينصح الأب؟...نعم لا عجب لأنه الإيمان بالله جل في علاه.

الدرس الأول الذي علمه له أباه .. هو درس الإيمان بالله وفي الله جل في علاه ولما أوثقه وكتفه بالحبال قال: يا أبت ماذا تقول عني الملائكة أتقول أني خائف من تنفيذ أمر الله عز وجل؟...فك الحبال عني ولن يتحرك مني عضو ولن يضطرب مني عضو لأني سأستسلم لأمر الله جل في علاه .. فقد رأى أن الربط بالحبال يناقض التسليم الذي قال فيه المولى الكريم :

﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الآية (١٠٣: ١٠٥) الصافات)

فوضع إبراهيم السكين على رقبته ولم تقطع حتى أن الله عز وجل أمره أن يحدثها فقال لها: مالك يا سكين لا تقطعي عنق إسماعيل؟ فأنطقها الله وقالت له: وما للنار لم تحرق جسدك يا إبراهيم؟...وهنا نزلت العناية الإلهية وفداه الله بذبح عظيم كبش نزل من الجنة .. وهل الجنة فيها مراعي ترعى فيها الكباش ؟ إن الجنة يقول فيها الحبيب:

{فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر}[٣]

والكبش تراه العين لكنه هو الكبش الذي قدمه هابيل عندما حدث خلاف بينه وبين أخيه قابيل وكان هابيل يرعى الأغنام فقدم كبشاً ثميناً وكان قابيل يشتغل بالزراعة فقدم زرعاً رديئاً فنزلت سحابة من السماء أخذت الكبش وصعدت به إلى السماء وأودعته في الجنة وظل في الجنة حتى نزل فداءاً لإسماعيل على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

كان هذا المنهج النبوي هو الذي عليه الحبيب وصحبه الكرام فكانت زوجاتهم وبناتهم وأبناؤهم كلهم على تقوى من الله عز وجل فكانت البنت إذا خرج أبيها في الصباح لطلب الأرزاق هي التي تقول له: يا أبتاه تحرَّ لنا رزقاً حلالاً ، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار .

(٣) مسند بن حنبل و المستدرك عن ابن سعد .

وكان الرجل يمشي في الأرض ليس عليه شاهد إلا خالق السموات والأرض ويستحي من الله أن يراه الله عز وجل واقعاً في معصية تغضب الله جل في علاه فكانت المدينة المنورة في حياة آمنة مطمئنة هانئة لا يوجد فيها مشاكل ولا منازعات ولا خلافات بين الأفراد ولا بين الأسر ولا بين العائلات لأن قلوبهم كانت عامرة بالإيمان بالله.

ذهب سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه في جولة تفقدية إلى البصرة ليرى فيها أحوال المسلمين ، فوجد الغش في الأسواق والفساد في المعاملات ، ومثل هذه الأشياء وقد امتلأ بها هذا المجتمع ، فذهب إلى المساجد فوجدها عامرة بالمصلين ، ونظر إلى الكتاتيب فوجدها مليئة بالصبيان الذين يحفظون كتاب الله عن ظهر قلب، فاختبرهم فوجدهم مع شدة حفظهم لكتاب الله يكذبون وينافقون ولا يتورعون ، فقال رضي الله عنه: "كنا نتعلم الإيمان قبل القرآن وأنتم تتعلمون القرآن قبل الإيمان"

كانوا يتعلمون الإيمان أولاً..

فإذا تعلموا القرآن راقبوا حضرة الرحمن عز وجل ونحن والحمد لله القرآن في كل ربوع بلادنا يتلى، وما أكثر حفاظه وما أكثر التالين له والقارئين له ، والمساجد عامرة، لكننا نحتاج لكي نرتاح في بيوتنا ونطمئن على أولادنا ولا يحدث ما يفسد العلاقات التي بيننا وبين زوجاتنا أو بيننا وبين إخواننا، إلى أن نوثق الصلة التي في قلوبنا بالله جل في علاه ، فهذا هو العلاج الوحيد لما تفشى في مجتمعنا من أمراض أخلاقية وأحوال نفاقية ، وأمور استعصت على الحل بالقرارات الوزارية والقوانين الدستورية ، فإنه لا يصلحها إلا تعلق القلوب بعلام الغيوب عزَّ وجلَّ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل السادس

المتابعة الجامعة للرسول صلى الله عليه وسلم(*)

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

آية ٣١ سورة آل عمران

- حقيقة المتابعة
- المعية المحمدية
- كمال المتابعة
- الجهاد الأعظم
- ورد الأكابر من الصالحين
- مقامات الصالحين

(*) كانت هذه المحاضرة بالجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي – محافظة القاهرة يوم الخميس ٩ من صفر ١٤٢٧هـ ، الموافق ٩ من مارس ١٩٠٦م بعد صلاة العشاء.

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

الذي أكرمنا بحبيبه ومصطفاه وجعله نوراً لأعيننا وبصيرة لقلوبنا وسراجاً لأرواحنا وروحاً لأبداننا وحياة باقية لنا في الدنيا وعند ربنا صلى الله عليه وعلى آله الذين وقروه وعظموه واتبعوه واستمسكوا بالنور الذي أنزل معه ومن سار على هديهم ومشى على دربهم وعلينا معهم أجمعين آمين ... آمين يا رب العالمين.

إخواني وأحبابي بارك الله عز وجل فيكم أجمعين .. ما زلنا نتحدث في: كيف يحبك الله؟..........والحقيقة أن الموضوع طويل ..،..

ولما وجدنا أن صفحات الكتاب زادت طلب الأخوة أن تكون هذه آخر حلقة لأن بيان الله ليس له نهاية .. ونحن نستعرض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على الأعمال والصفات والكمالات التي من اتصف بها وقام بها يحبه الله عز وجل من أجلها ومن أجمع هذه الآيات وأكمل هذه البيانات ما أمر الله عز وجل حبيبه أن يقوله للمسلمين والمسلمات من زمانه إلى يوم الميقات ... فقد قال له قل لهم:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (الآية ٣١ آل عمران)

قضية قرآنية ربانية تبين صدق الإيمان وخالص التعامل مع حضرة الرحمن كأن الله عز وجل يقول ... كل من يدعي محبة الله ويزعم أنه من خيار عباد الله المسلمين والمؤمنين بالله لا بد له من دليل ليثبت دعواه ومن حجة يبرهن بها على صدق تعامله مع مولاه .. ما الدليل وما البرهان وما الحجة على صدقه في حبه لله؟

أن يتبع حبيب الله ومصطفاه ومعنى ذلك أن كل من يدعي المحبة ولا يتابع الحبيب صلى الله عليه وسلم في هديه فليس من الأحبة، لأن ذلك هو الدليل الذي أقامه الله وبينه كتاب الله ... لأن ذلك جاء في الآية بأسلوب الشرط .. إن كنتم ... تحبون الله ... فإن شرط المحبة — فاتبعوني— والنتيجة العظيمة والثمرة الكريمة

﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

وهذه هي قضية القضايا للمسلمين في كل زمان ومكان.

حقيقة المتابعة

كيف نتبع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في كل ما جاء به من عند الله؟

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ ٧ الحشر

ما هي الأضواء .. التي تبين أن المسلم قلبه خال من كل داء...!؟

أن يتابع الحبيب المصطفى على الدوام في كل الأفعال والأحوال والأقوال ولا يفرق فإن اتبعه في أمر وخالفه في أمر آخر ... فأين المتابعة إذن؟

فالمتابعة واضحة في الآية .. ﴿فاتبعوني﴾ أي في كل شيء .. اتبعوني في العبادات والأخلاق الكريمة، والمعاملات، اتبعوني في معاملة الزوجات ورعاية الأولاد والبنات، ورعاية الجيران وصلة الأرحام .. حتى في معاملة الأعداء علينا أن نتبع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه لأنه هو الهدي الذي اختاره مولاه وكان الصالحون ولا يزالون يتابعونه في أكثر من هذا ... يتابعونه في هديه في الطعام وفي سنته في الشراب وفي طريقته في سرد الكلام وفي نظراته إلى الأكوان وإلى الأنام وفي مشيه، وفي

جلوسه، وفي نومه، وفي كل حركاته وسكناته ولا يفعل الإنسان منهم عملاً ولا يتحرك حركة إلا ونظر كيف كان صلى الله عليه وسلم يعملها ليقوم على هديه ليفوز بوده ويعمل بقول الله: ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ولم يقل الله عز وجل فيها اتبعوني فيما ظهر ولكن اتبعوني ظاهرياً وقلبياً وروحياً وفي كل الأحوال ... نتبعه في الظاهر ، في التواضع ولين الجانب والشفقة على الخلق، والرحمة، والمودة ... ونتبعه في الباطن في الخشية والخوف من الله والخشوع والإخبات والإقبال والحب والوجد الصادق لمولاه .. فلا بد وأن تكون المتابعة شاملة وفي جميع الجوانب وكلما زاد الإنسان في المتابعة كلما اقترب من المبايعة، فإن الذين بايعوه هم الذين اختارهم الله عز وجل واتبعوه ، قال تعالى (الآية ١٠ الفتح) :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾

ولذلك عندما أمرهم صلى الله عليه وسلم في سر هذه الآية وكانت في صلح الحديبية .... فقد أمرهم رسول الله أن يحلقوا شعورهم وأن يذبحوا هديهم فلم ينفذوا ... حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على السيدة أم سلمة رضي الله عنها وكانت معه في هذه المرة وقال لها: هلك الناس !، قالت: ولم يا رسول الله؟......قال: أمرهم أن يحلقوا شعرهم ويذبحوا هديهم فلم يمتثلوا ....، فقالت:.... يا رسول الله اخرج أمامهم واذبح هديك واحلق شعرك فلن يتخلف عنك رجل واحد،وذلك لأنها تعلم أنهم كانوا يقتدون بفعله فالرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة لهم كان هو القدوة الحقيقية .

والرسول صلى الله عليه وسلم كانت له أقوال وله أفعال :

وكانت أقواله فيها يسر وتيسير لأنه يخاطب بها جميع الخلق ، أما أفعاله فقد كان يأخذ فيها بالعزيمة .. فيأخذ نفسه بالأشد ويأمر غيره بالأيسر والألين والأخف ،. يأمر

بالرخص ويأخذ نفسه بالعزائم وأصحابه من شدة حبهم وذكائهم وفطنتهم علموا هذه الحقيقة فكانوا يستمعون إلى أقواله ولا يقومون للعمل إلا إذا شاهدوا أفعاله ، وذلك من أجل: ﴿فاتبعوني﴾ .. وليس فاستمعوا لي .... فاتبعوني .. لأنهم يريدون أن يكونوا معه .. يعني يشاركوه في نواياه وطواياه وباطنه الذي يتوجه بالكلية إلى مولاه وأعماله التي كان يتوجه بها إلى حضرة الله جل في علاه، .. فكانوا يقتدون بفعاله ويمتثلون لأقواله ...لماذا؟

لأنهم يعلمون أن الأقوال للجميع لكن الأعمال بالعزيمة التي يأخذ بها رسول الله حتى كانوا يذهبون ويتساءلون عن أدق الأشياء !! يسألون زوجاته عن أكله وعن نومه، عن عبادته، وعن ذكره، وعن طاعته ، ولذلك لم يحك التاريخ حركات رجل وسكناته كما حكى عن سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم .، فلا توجد حركة صغيرة ولا كبيرة إلا وأظهرها الله لأحبابه لشدة تعلقهم بحضرته ، لأنهم كانوا حريصين على اتباعه صلى الله عليه وسلم ... فكانوا يقتدون بأفعاله .

ولذلك فإن الرجل في طريق الله هو الذي يأخذ نفسه بالأشد و يأمر غيره بالأيسر ، أما الذي يأخذ نفسه بالأيسر ويأمر غيره بالأشد فإن مثل هذا غير فقيه في دين الله عز وجل .. لأن هذه ليست سنة رسول الله فخرج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- وإياك أن تقول أنه خرج بمشورة السيدة أم سلمة ، فكأنك تزعم أنه لا يعرف ذلك – ولكنه أراد إظهار قدرها وإعلاء شأنها لكي يبين أن نساءه ذات فقه في الدين ، حيث قال فيهن رب العالمين (الآية (٣٤) الأحزاب) :

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ فقد كن فقيهات وحكيمات وعالمات :

فخرج صلى الله عليه وسلم وذبح هديه فكاد الناس أن يقتتلون لذبح هـديهم لأنهم يقتدون بفعله قبل قوله ، وكذلك دعا الحلاق ليحلق شعره فتنافسوا على شعره ، فمنهم من فاز بخصلة ومنهم من فاز بشعرة ومنهم من فاز بأقل أو أكثر من ذلك ثم سارع الناس لحلق شعرهم لحرصهم على الإقتداء بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أفعاله.

المعية المحمدية

ولذلك وضعهم الله معه:

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (الآية ٢٩) (الفتح)

معه في ماذا؟.....في هذه الأحوال و هذه الأعمال .. ولـيس معـه في الزمان أو المكان ومن على هذه الشاكلة وعلى هذا النهج يصبح معه ...!!!!

وإن كان بينه وبينه ألف وخمسمائة عام أو أكثر أو أقل أو لو كان بينه وبينه في زمانه بعد المشرقين ، لأنه لا يوجد بعد أو قرب إلا بالمتابعة لسيدنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الله عز وجل الأمة إن أرادوا كشف أي غمـة أن يقتـدوا بالحبيب صلى الله عليه وسلم .

ولذلك فقد كان من هديهم وكذلك التابعين وتابع التابعين أن الرجـل منـهم كان إذا أبطأ عليه رزق أو تخلف عنه نصر أو ضاقت به حاجة نظر في متابعته لرسـول الله وأخذ يراجع نفسه ... هل قصرت في متابعة رسول الله؟ وفي ماذا قصرت؟ فإذا

استدرك ما قصر فيه وجد لطف الله عز وجل يحف به ويتترل له فضل خالقه وباريه عز وجل، حتى قال قائلهم: "إني لأعرف حالي مع الله حتى في تشامس دابتي وفي خُلقْ زوجتي .

يعني إذا تشامست عليه الدابة ولم تقف له مستكينة ، فمعنى ذلك أن متابعته غير صحيحة وإذا كانت الزوجة غير مطيعة في وقت من الأوقات ، إذاً يوجد في المنهج شيء غير صحيح .

علامات وإشارات قال فيها الله عز وجل للصالحين والصالحات:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ سورة الأعراف

قال الإمام أبو العزائم ﷺ :

لسنته فاخضع وكن متادباً .... وحاذر فحصن الشرع باب السلامة

على الجمر قف إن اوقفتك تواضعاً ،، يكن لك برداً بل سلاماً برحمة

فلو أن السنة قالت لك قف على الجمر فامتثل ، والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه أوصانا في هذا المقام بحكمة قصيرة المبنى عظيمة المعنى كثيرة المغنى قال فيها: "حافظ على السنة ولو بشرت بالجنة"

أي حتى لو بشرت بالجنة إياك أن تتكاسل في إتباع السنة لأن الله جعل الروح والريحان والرضى والرضوان في إتباع النبي العدنان صلى الله عليه وسلم ، فمتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الباب الأعظم لنوال فضل الله والحصول على إكرام الله جل في علاه :

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾

ويظل المرء يتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظاهر أمره وخافيه لأن العبرة ليست في المتابعة الظاهرة ولكن العبرة في النوايا الباطنة ، إنما الأعمال بالنيات.

انشغل كثير من الناس بمتابعته في الظواهر ، وتركوا متابعة حضرته في النوايا وفي صفاء الطوايا ، فلم يأتهم من الملأ الأعلى خفيات الألطاف ، ولا طرائف الحكمة ولا غرائب العلوم ، وذلك لأن المتابعة عندهم كلها في الأشياء الظاهرة ، لكن العبرة بالنوايا وهي الأساس.

كمال المتابعة

والباب الأعظم في كمال المتابعة .. ليس هو العبادات كما يظن البعض بل هو ما أشار إليه الله حين قال له في الخطاب الذي استمعنا إليه (الآية ١٩٩) الأعراف:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾

فقال صلى الله عليه وسلم لأمين الوحي جبريل عندما نزل عليه بهذه الآيات .. ماذا يراد مني يا أخي يا جبريل؟..فقال: انتظر حتى أسأل العليم ... فذهب ثم عاد وقال: يقول لك ربك:

{ صل من قطعك وأعطي من حرمك واعفو عمن ظلمك }[1]

وهذه هي متابعة الرجال أهل الكمال ، فالمنافقين كانوا يتابعونه ويقفون خلفه في الصلاة ، وكانوا يتابعونه في ميادين القتال ، ويذهبون معه إلى الحرب ، لكن من الذي يستطيع أن يتابعه في الأخلاق الكاملة ؟...والنوايا والطوايا الخافية...؟

(١) صحيح البخاري و سنن أبي داوود عن عقبة بن عامر .

إنهم الرجال أهل الكمال ، وقد قال فيهم صلى الله عليه وسلم :

{ إنَّ أقربكم منِّي مجلساً يومَ القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، المُوطئون أكنافاً الذين يألفون ويُؤلفون } وفى رواية { إنَّ أحبكم إليّ.......}[2]

ونفَّرَ فيمن على غير هذه الشاكلة ، وقال في وصف المؤمن :

{المؤمن إلفٌ مألوفٌ ولا خيرَ فيمن لا يألفُ و لا يُؤلَف }[3]

وبعد أن يقول رسول الله هذا الكلام، فلا خير فيمن لا يتخلق بهذه الكمالات : إذاً كيف يتمسك الإنسان بهذه الأوصاف؟ ....والمتابعة التي يفوز صاحبها بمعية الحبيب المصطفى والجمال والكمال والبهاء والنور الكامل من الله والضياء تكون في الكمالات الخلقية وفي المعاملات الدينية الشرعية على نهج الشريعة المحمدية .... وهذا ما فيه التفريط والإفراط من الناس الآن لكن من يريد أن يحبه الله فيجب ان يتخلق بحقيقة ، ففى الأثر المعروف :{ إن الله يحب من خلقه من كان على خلقه }...فالله عفو يحب كل عفو ، وهو كريم يحب عبده الكريم ، وهو باسط يحب الذي يبسط لعباده ، وهكذا قس على ذلك سائر الأسماء فإن الله يحب من خلقه من كان على خلقه، ولذلك فإن أخلاق رسول الله التي جمَّله بها مولاه كانت مواهبا من عند الله؛ ففى آداب الصحبة لعبد الرحمن بن سلمى ﷺ ، قال ﷺ :

{ أدبني ربي فأحسنَ تأديبي }

ليس فيها جهاد أو تعب أو عناء ، لأن الله فطره على ذلك ، وحفظه من كل شيء يخالف ذلك ، وقد قال عن نفسه : ما حدثتني نفسي بشيء من لهو الجاهلية إلا

---

(٢) المعجم الصغير للطبراني وشعب الإيمان للبيهقي عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) المعجم الصغير للطبراني وشعب الإيمان للبيهقي عن جابر ﷺ.

مرتين في المرة الأولى وكان هناك عرس في مكة فطلبت من رفيقي في رعـــي الغـــنم أن يحرس لي غنمي حتى أذهب إلى مكة لأحضر هذا العرس، ما الذي حـــدث؟ يقـــول: فألقى الله عليَّ النوم فلم أستفق إلا بعد أن ضربتني حرارة الشمس وفي المرة الثانيـــة تكرر ذلك أيضاً ....، لماذا؟...............................

لأن الله حفظه من أخلاق الجاهلية ورباه على الأخلاق الربانية فطرة وسجية من الله خصوصية لخير البرية صلى الله عليه وسلم.

الجهاد الأعظم

ولكن علينا نحن أن نجاهد...

ولنا الأجر العظيم في هذا الجهاد الكريم ، والجهاد الأعظم لـــيس الجهـــاد في العبادات أو في متابعته صلى الله عليه وسلم في سنن العادات كأن أربي لحيتي أو ألـــبس العمامة لها عدبة فإن كل هذه الأشياء سهلة وبسيطة يستطيع الإنسان أن يصنعها لكن الجهاد الأعظم أن أتبعه في الأخلاق والمعاملات ولذلك قال سيدي أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه: "ليست الكرامة أن تطير في الهواء أو أن تمشي على الماء ولكن الكرامة أن تغير خلقاً سيئاً فيك بخلق حسن"

وهذا هو الجهاد الأعظم...

وأوراد المبتدئين في رياض الصالحين : هي بعض الأذكار التي بها تتهذب النفس ويحيي القلب ويعيش الإنسان في أضواء كتاب الله وفي محبة حبيب الله ومـــصطفاه كأن يستغفر المريد مائة مرة، ويصلي على النبي مائة مرة ، ويقول لا إله إلا الله مائة

مرة ، ويقرأ في كل يوم من القرآن جزء أو نصف جزء ، ويصلي بالليل عـــدداً مـــن الركعات ، لكن من يريدون الكمالات ، ما هي أورادهم ؟

نقول له : وردك أن تغيِّر هذا الخلق كما كان يفعل حضرة النبي مـــع الأكابر من أصحابه ، فقد قال أحدهم :.....

{يا رسول الله أوصني ، فقال له : لا تغضب ، فيقول مرة ثانية : يا رسول الله أوصني ، فيقول: لا تغضب ، ويسأله للمرة الثالثة يا رسول الله أوصني ، فيقول له : لا تغضب} صحيح البخارى ، عن أبي هريرة رضي الله عنه

فإذا استطعت أن تتخلص من الغضب ، سترى العجب من فيض فـــضل الله عز وجل ... وذلك لأنك تخلقت بأخلاق الأنبياء المشار إليها في قول الله:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤التوبة)

لقد أصبحت حليماً والحليم يمدحه الله عز وجل في كتابه الكريم .. ويـــسأله آخر: يا رسول الله أوصني .. فيقول له: لا تكذب ، وهـــذه هـــي أوراد الـــسادة الأكابر يبحث عن نفسه في ماذا يتابع رسول الله وماذا يترك ؟ ويصلح من أخلاقه :

هي الأخلاق أسرار المعالي تفاض على أولي الهمم العوالي

فالأخلاق هي الأساس الذي صار به الخواص عند الله خواص ، وعباد الرحمن أول ما أثنى الله عليهم في القرآن ... ماذا قال :

﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾

يعني التواضع

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾

يعني العفو والصفح ، وبعد ذلك في سورة الفرقان:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾

إذاً البدايات هي سر الإشراقات في النهايات ..:

وهذا ما ركز عليه كتاب الله في آياته البينات .. والأنصار عندما أثنى عليهم الله عز وجل في كتابه :

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

قال كم يصلون وكم يصومون؟ ...لم يقل ذلك ولكنه قال:

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾

وهو سيدنا رسول الله .. ونتيجة هذا الحبِّ :

﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾

كلما يأمرهم بأمر يسارعوا إلى تنفيذه بلا غضاضة ولا تريث ولا ترقب ولا انتظار ولكن يسارعوا إلى تنفيذ أمره لأنهم يريدون أن يكونوا من الصالحين والأبرار .. وشيء آخر ..(الآية ٩ سورة الحشر) :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

أين العبادة إذاً؟...لا توجد ..!!...لأن كل أنواع العبادات المقصد منها ، ؟؟مساعدة المرء على إصلاح نفسه وتهذيب خلقه على الكمالات التي

وضعها الله في سيد السادات صلى الله عليه وسلم :

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ .. ﴾ ...... ما حكمتها ؟

﴿ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (الآية ٤٥ العنكبوت)

والصيام :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾

لماذا؟؟؟........﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الآية ١٨٣ البقرة)

والزكاة :...... ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾

وهذا هو الأساس .. الطهارة الباطنية

﴿ وَتُزَكِّيهِم ﴾ تزكية النفس بها وبعد ذلك لم يقل هم الذين يصلون ... ولكن قال أنت الذي تصلي عليهم..في قول الله..(الآية ١٠٣ التوبة) :

﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

فنحن محتاجون لمن يصلي علينا لا أن نصلي .. فلو صلينا ألف سنة فلن تكون كما يصلي علينا الحبيب سنة ، أما إذا صلوا فإن الله أعلم بهذه الصلاة بين القبول والرد وذلك لأن لها عقبات .. وكذلك الحج:

﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ (الآية ١٩٧ البقرة)

إذاً كل الموضوع هو في الكمالات التي قال فيها سيد السادات:

{إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق} السنن الكبرى للبيهقي عن أبي هريرة

.....أين يتممها؟ ......في الرفاق .. يتمم فيهم مكارم الأخلاق، فيصبحون جميعاً على هذه الشاكلة وعلى هذا النهج العظيم من مكارم الأخلاق وهذا هو السر الذي جعل كل الآفاق تفتح بهم، لماذا؟.......بمكارم أخلاقهم التي تأسوا فيها بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فأكرمهم الله بفتح القلوب بدون تعب ولا لغوب.

ورد الأكابر من الصالحين

إذاً الباب الأعظم في المتابعة يا أحباب هو المتابعة في الأخلاق العالية التي كان عليها الحبيب

... من الذي يستطيع أن ينفذ؟؟ {أوصاني ربي بتسع أوصيكم بهن .....}؟؟

من الذي يستطيع أن يعمل هذا الورد؟ ......نستطيع أن نصلي كل ليلة مائة ركعة .. ونستطيع أن نصوم الاثنين والخميس :

لكنه أعطى الأكابر هذا الورد ... قال صلى الله عليه وسلم فى معنى وصيته :

{ أوصاني ربي بتسع أوصيكم بهن ، أن أصل من قطعني ، وأن أعطي من حرمني - وأن أعفو عمن ظلمني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبراً ، والإخلاص في السر والعلانية ، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الرضا والغضب }

هذا هو الورد لمن يريد أن يكون مع رسول الله....

ولذلك كان الناس يختبرون الصالحين بهذه الأمور ، فقد ذهب الإمام الشافعي ﷺ إلى ترزي ليحيك له جبة يلبسها وعندما ذهب لاستلام هذه الجبة أراد بعض حساده أن ينظروا في مدى تخلقه بأخلاق الكرام ، فأوعزوا إلى الترزي أن يجعل إحدى كميها ضيقاً والآخر واسعاً، الكم اليمين ضيق والشمال واسع ولا يدرون أن أهل هذه المقامات ينظرون إلى الله في كل الحالات ، ولا يرون الأمر إلا من الله فالذي يطعم هو الله والذي يناول الماء هو الله وكل ما في الوجود من فضل الله وكرم الله وجود الله جل في علاه ، وذهبوا إليه في الموعد الذي حدده لاستلام الشافعي للجبة فذهب الشافعي وعندما لبسها نظر إليه وقال : "كأنك تعلم ما كنت أريد

قال: وماذا كنت تريد؟ ...قال : إن كمي اليمين عندما كان واسعاً كان يتعبني عندما أمسك بالقلم للكتابة ، والآن صار لا يمثل لي مشكلة عند الكتابة، ....وكنت عندما أحمل الكتاب بيساري ، كان العرق يؤثر فيه فيغير لونه وجلده ويتعرض للتلف بسرعة ، ......فالآن أحفظه في كمي ....ما هذا يا إخواني؟.........

هذه هي أخلاق الصالحين التي جذبوا بها الناس في كل وقت وحين فقد جذبوهم بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تمسك بأخلاق الإله وحافظن ... على منهج المختار في العقد تنسقا

وهذا ما يركز عليه العارفون ، فمن يقرأ منهم الغزوات لا يقرأها من أجل الغزوات ، ولكن ليرى فيها أخلاقه في المواقف في هذه الغزوات ، لكي يتمثل بها ويستحضرها في نفسه ويجعلها أخلاقه في معاملة الخلق ، وهذا هو الأساس الأول في المتابعة لمن أراد أن يكون مع الحبيب وفيه يقول صلى الله عليه وسلم:

{ *تجدون أثقل شيء في موازينكم يوم القيامة خلق حسن* } سنن الترمذي،عن عائشة

هذه هي المتابعة التى بها يبلغ المرء هذه الدرجة العظيمة في متابعته لرسول الله ﷺ، وكل واحد منا يحتاج أن يأخذ أخلاق رسول الله ويضعها أمام ناظريه ويحاول أن يطبع هذه الأخلاق في نفسه .. ولن يستطيع أن يقوم بها جملة واحدة ولكن كل مرة خلق وإذا استطاع الإنسان أن يجاهد في هذا المقام فليبشر نفسه ويتأكد من أن الله عز وجل سيحبه كما يقول تعالى ف ...(الآية (٣١) سورة آل عمران):

﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

إذاً الورد الكامل كما قلناه هو :

{أوصاني ربي بتسع أوصيكم بهن ....}

ومن استطاع أن ينفذ هذه التسع فإنه يصبح رجلاً من رجال الله:

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ الآية (٢٣) الأحزاب

وإن لم يستطع

فعليه أن يأخذ واحداً تلو الواحد من هذه الأخلاق :

وينفذها في حياته مع زوجته ، ومع أولاده ، ومع جيرانه ، ومع أعدائه ، ويحاول أن ينفذها على مسرح نفسه، ليفوز بمودة الله ونظرات وأنوار حبيب الله ومصطفاه ﷺ ... ومن وصل لهذا المقام فقد وصل لمقام الإحسان ومقام الإحسان هو مقام محبة الرحمن عز وجل.

مقامات الصالحين

وعندنا في الأمة المراتب الإيمانية والدرجات الربانية :

درجة الإسلام ودرجة الإيمان ودرجة الإحسان ودرجة الإيقان

فدرجة الإسلام لكل من نطق بالشهادتين ودرجة الإيمان لمن احتشى قلبه وامتلأ فؤاده بحقيقة الإيمان ونفذت جوارحه ما أمر به الرحمن ودرجة الإحسان لمن تابع النبي صلى الله عليه وسلم في كل شأن وذلك لأنه يحسن العمل ويحسن الخلق والآداء لأنه امتثل لقول الله في (الآية ٢١ سورة الأحزاب):

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾

وهذا يمن عليه الله إذا أصبح من المحسنين وداوم على الإحسان .. :

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (الآية ٩٣ المائدة)

فيمن عليه الله فيصطفيه وينتقيه ، قال تعال فى (الآية ٧٥ الحج):

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

ويجعل له قدراً من اليقين ومن الإيقان .. فقد يكون مقامه علم اليقين :

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ (الآية ٥ التكاثر)

فيعلمه الله من عنده علم اليقين ....!!........

وعلم اليقين :

يكون من الله لقلوب عباده الصالحين (الآية ٦٥ الكهف):

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾

وقد يكرمه الله عز وجل بعين اليقين :

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ (الآية ٧ التكاثر)

وعين اليقين :

عين نورانية في الروح البشرية إذا منَّ الله على عبد بها فتحها لتشاهد ما لا يراه الناظرون، تشاهد ما غاب عن العيون لأنها تشاهد غيب الله المكنون ونور الله المصون وسر الله المضنون لأن الله عز وجل جعله من أهل هذا المقام:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (الآية ٧٥ الأنعام)

وإذا زاد الله في إيقانه رقّاه إلى مقام حق اليقين.

وحق اليقين :

أن يتفضل الله عز وجل عليه فيعطيه عيناً من عنده فينظر بالله إلى الأكوان التي خلقها وسخرها الله ويكون داخلاً في قول الله في الحديث القدسي :

((كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به))[٤]

---

(٤) راجع صفحة ٥ من هذا الكتاب للنص الكامل و التخريج .

فيرى بالله ما غاب عن الناس في هذه الحياة ولا يغيب عنه مولاه طرفة عين ولا أقل وكل ذلك ببركة حسن متابعته لحبيب الله ومصطفاه.

نسأل الله عز وجل :

أن يمن علينا أجمعين بالإتباع الصادق لسيد الأولين والآخرين ، وأن يوفقنا لأن نكون له من المحبين ، وأن يحشرنا في زمرة أتباعه يوم الدين ، وأن يفيض علينا من أنواره وخزائن علومه وحكمه في كل وقت وحين .

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم.



(الَّذين معه) (*)

- تجهيز الله لصحابة نبيه
- أصول الدعوة الإسلامية
- جمال أهل الكمال

(*) كانت هذه المحاضرة بالجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي – محافظة القاهرة يوم الخميس ٩ من صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٩ من مارس ٢٠٠٦ م بعد تناول العشاء.

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾

تجهيز الله لصحابة نبيه

إن سيدنا رسول الله ﷺ أخلاقه الربانية قد فطره الله عز وجل عليها ولذلك قال له سيدنا أبو بكر: .."يا رسول الله، لقد ذهبت إلى الفرس وذهبت إلى الروم وطفت على قبائل العرب فلم أرى مثلك، فمن أدبك؟قال ﷺ :

{أدبني ربي فأحسن تأديبي}[1]

والقضية المهمة أن الله عز وجل جهز أهل الجزيرة العربية مع أنهم كانوا أهل جاهلية وليس لديهم أي حضارة مدنية لحمل رسالة هذا النبي الكريم ، وكأن الله يعطينا درساً أن حملة الرسالة لا يحتاجون إلى أموال فقد كان العرب فقراء وليس لديهم أجهزة عصرية ومعدات فقد كانوا حفاة وعراة.. كيف جهزهم الله لنشر رسالة الإسلام مع حبيبه ومصطفاه؟

ولما نستقرأ التاريخ نجد أن الأمم المجاورة المتمدينة الفرس والروم لم يبلغوا في الأخلاق ما بلغ إليه عرب الجاهلية .. فلقد كان عندهم تمسك بالأخلاق يعجب منه الإنسان فعندما كان النبي صلى الله عليه وسلم صغيراً قبل اصطفاءه بالرسالة ولاحظ أهل مكة أن هناك من التجار الكبار من يظلم الصغار ويأخذ منه البضاعة ولا يعطيه الثمن ... ماذا صنعوا؟

اجتمعوا في دار لهم يسمونها دار الندوة وتحالفوا على نصرة المظلوم بغير دين ولا هدى ولذلك قال حبيبي وقرة عيني صلى الله عليه وسلم ..{لقد حضرت حلفاً في الجاهلية لو دعيت إليه في الإسلام لأجبت}

---

(١) آداب الصحبة لعبد الرحمن السلمي .

أين من يتشدق بالمدنية الآن وهم الظالمون ويدعون أنهم ينصرون المظلوم؟

وصنعوا الأمم المتحدة لتحقق مآربهم وأهدافهم بحجة نصرة المظلوم، فلا يوجد من ينصر المظلوم في العالم إلا المسلمين لو قامت لهم دولة ... لكن هل أحد من الموجودين على السطح الآن سينصر المظلوم؟

كلا كما ترون ، لكن هؤلاء مع أنهم في الجاهلية وأهل بادية تعاهدوا على نصرة المظلوم والأمثلة في هذا المجال كثيرة أذكر بعضها لتقريب الحقيقة.

الرسول ﷺ عندما خرج من بيته في ليلة الهجرة وكانت قريش قد اختارت من كل قبيلة منهم رجلاً شديداً وأعطوه سيفاً ليضربوا الرسول بسيف واحد وكانوا كما تذكر الروايات حوالى خمسين رجلاً يحيطون ببيت النبي ﷺ وخرج النبي من بينهم ونام سيدنا علي في فراشه ، وجاء أبو جهل وعلموا أن النبي قد خرج وأخذوا ينظرون من أعلى الباب وكانت الأبواب قصيرة فلم يرون الرسول ، فعلموا أنه خرج فأشار عليهم بعضهم وقالوا ندخل لنبحث عنه فقالوا: ماذا تقول عنا العرب؟ أتقول عنا العرب أننا دخلنا على نساء أهلينا وذوينا ... أين الحضارة المعاصرة من هذا الخلق النبيل الذي كان عليه العرب الأجلاف.

وكذلك عثمان بن مظعون حصل بعد خروج أبو سلمة أن خرجت زوجته أم سلمة خلفه بابنها مهاجرين فخرج أهله ومنعوها وجاء أهلها وتقاتلت العائلتان وأخذوا يشدون الولد كل منهم يريد أخذه ، حتى كسروا ذراعيه وأخذه أهل زوجها وأخذها أهلها ، فأصبح زوجها في مكان وولدها في مكان وهي في مكان ، فكانت تبكي ليل نهار وأخيراً رق القوم لحالها وقال بعضهم أما تتركون هذه المسكينة؟

لقد فرقتم بينها وبين زوجها وبينها وبين ابنها ، فقالوا : ردُّوا لها ابنها ودعوها تذهب إلى زوجها، فأعطوها ولدها وأركبوها جملاً ، وتركوها بغير رفيق لتذهب :

فرآها عثمان بن مظعون وكان لم يسلم بعــد .. فــسألها إلى أيــن يــا أمــة الله؟..قالت: إلى زوجي في المدينة ، قال : أوليس معك رفيق؟ ..قالت: لا! ..،قــال: ليس لك من مترك (أي كيف أتركك بلا رفيق) وإياك أن تظن أنه يريد مرافقتها لشيء ما ولكن ليحرسها...

أين هذه الأخلاق حتى في زماننا المعاصر ونحن أهل الإسلام؟

قالت فكان يمشي أمامي ويأخذ بزمام الجمل ، فإذا أردنا الاستراحة جعل الجمل يبرك ثم مشى بعيداً واستدار ظهره لي حتى أنزل وأستريح فإذا أردنا السفر جهز الجمل وذهب بعيداً واستدار ظهره لي حتى أركب فإذا قلت ركبت جاء وأخذ بزمام الجمل، قالت حتى وافى قباء وقال: يا أمة الله إن زوجك في هذه البلدة وتركني ورجــع ... أين هذه الأخلاق في هذه الأيام بين أهل الإسلام حتى بين الأخ وأخيه؟ إلا فيما قــل وندر ...!!..

والرجل الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم وكان في إحدى المعارك ونــزل المطر وابتلت ملابسه بالماء ، واستراحوا في وقت الظهيرة ، فأمر النبي الجيش أن يتفرق وذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى شجرة وخلع رداءه ونشره عليها ليجف ، ونــام تحتها وقد علق سيفه في الشجرة بدون حراس ،، ونظر الرجل وكان من فرسان العرب وهو في أعلى الجبل ، فوجد النبي نائماً وليس بجواره أحد ، فقال هذه فرصتي أنزل إليه وأقتله وأريح العرب منه .

ولكنهم كان من عاداتهم وهذا ما أريد أن أتحدث عنه .. أنهم لا يقتلون أحـــداً غدراً ، فنزل الرجل وأمسك السيف وأيقظ النبي مع أنه كان يستطيع أن يقتله وهـــو نائم ، ولكن الغدر في عرفهم كان عيباً وقال: من يمنعك مني؟

فقال ﷺ : الله، فسقط السيف من يده

وما أريد أن أركز عليه أنه لم يرضَ أن يقتل حضرة النبي غدراً وهو نائم ، لأنه ليس من طبيعتهم الغدر....!!

هل هذه الأخلاق أخلاق إسلامية أو جاهلية؟

إنها أخلاق جاهلية ولكنها إسلامية وذلك من تأهيل الله لهم فقد أهلهم ربهم بالأخلاق الإسلامية، فكانوا لا يكذبون حتى في أصعب الظروف وأعتاها.

فعندما أرسل النبي ﷺ رسالته إلى هرقل ملك الـــروم وقـــال هرقل لأعوانه ابحثوا عن رجال من قومه ، فكان أبو سفيان ومعه نفر من قريش ، فقال إني سائلك عنه ، فقال أبو سفيان بعدها : لولا أن العرب تعيرني بأني كذبت ، لكذبت في ذلك اليوم.وقد كانت هذه أخلاق الجاهلية فلا يخونون، ولا يغدرون، ولا يكذبون، ولا يعتدي رجل على امرأة مهما كان ولا يكشفها ولا يتعرض لها.

ناهيك عن الأمانة :

فهذا العاصي بن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ وكان قائد تجارة لقريش وعند رجوعه من الشام هداه الله للإسلام فدخل المدينة وبايع النبي ﷺ فجاء إليه بعض ضعاف النفوس من المنافقين وقالوا له: ما دمت قد أسلمت فخذ ما معك من التجارة غنيمة لك !...

قال: بئس ما أوصيتني به يا أخ الإسلام ، أأبدأ عهدي مع الله بالخيانة والله لا يكون ذلك أبداً.

لأن هذه مبادئ أصيلة كانت عندهم وذهب إلى مكة ولم يخش من الموت لأنه أسلم وأعطى لكل ذي حق حقه ثم قال: يا أهل مكة هل بقى لواحد منكم شيء عندي لم يأخذه؟.....قالوا: لا وجزاك الله خيراً

قال: أشهدكم أني آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، !

ورفض أن يبدأ عهده بالإسلام بالخيانة ولو استطردنا في ذكر هذه الأمثلة لوجدنا شيئاً خارج العد والحصر من أخلاق أهل الجاهلية وهذا يفسر لنا لماذا اصطفاهم الله لحمل رسالة الإسلام؟

لما كانوا عليه من هذه الأخلاق والشيم لأنها أخلاق وشيم ارتضاها الله ونزل بها كتاب الله وخلّق بها حبيبه ومصطفاه.

أصول الدعوة الإسلامية

ولذلك فإنهم أعانوه على تبليغ الدعوة والدعوة في صلبها:

{ *إنما بُعِثْتُ لأتمم مكارمَ الأخلاق* } (السنن الكبرى للبيهقي عن أبي هريرة)

فذهبوا إلى العالم كله ، وقد انتشر الكذب وانتشر الغدر والخيانة ، وانتشر الزنا وانتشر شرب الخمر في أرجاء البلاد ، والدول المتقدمة الفرس والروم وغيرها، وكانت مهمتهم ورسالتهم تطهير المجتمعات من هذه الرذائل لأن الله يقول في كتابه العزيز:

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ (الآية (١٦) الإسراء)

والقراءة الأخرى: ﴿إذا أردنا أن نهلك قرية أمَّـرنا مترفيها﴾ أي يكونوا هم الأمراء ﴿ أمَّرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾

ولذلك كان موضع العجب من البلاد التي فتحوها :

أنهم حفاة وعراة ولا يملكون من الدنيا شيئاً ، ومع ذلك عرضت عليهم الخزائن ، ومن موضع العجب أيضاً أن هؤلاء القوم مع فقرهم وضيق ذات يدهم وحاجاتهم الشديدة ، إلا أنهم لا يمدون أيديهم إلى هذا الثراء وإلى هذا الغنى وإلى هذه العروض التي عرضت عليهم ، ليقينهم بربهم وصدقهم مع نبيهم ﷺ .

وهذا ما دعا الأمم إلى أن تدخل في الإسلام .،فقراء لكـن أمنـاء، محتـاجون لكنهم في حاجات الدنيا زاهدون ، ولا يطلبون شيئاً إلا من رب العالمين عز وجل.

دخلوا قصور كسرى ملك الفرس وعندما رأوها استعبر سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عندما رأى هذه القصور الهائلة وهذه الكنوز الفاخرة فقال رضي الله عنه متمثلاً بكتاب الله: (سورة الدخان) :

﴿ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴾

يعطي موعظة لمن حوله من الجند ، وبعد دخولهم إلى إيوان كسرى وأخذ الجند يبحثون في كل جوانبه أمرهم بإحضار كل ما يجدونه .فكان هذا موضع العجب من الفرس فمن وقعت يده على إبرة ...،..جاء بها إلى القائد وسلمها له ، حتى أنه أرسل

خزائن كسرى على جمال إلى المدينة المنورة ، كان أولها في المدينة وآخرها في بلاد فارس ، ولك أن تتخيل هذا الكم الهائل ، ومع ذلك لم يحتفظ أحد لنفسه بشيء ، لأنهم يراقبون الله جلّ في علاه ، حتى أن سيدنا عمر عندما عرض هذه الأمانات في المدينة المنورة تعجب الحضور ، وقال سيدنا عمر :

إن قوماً أدّوا هذا لأمناء ... فقال سيدنا الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه : عففت ، فعفت رعيتك يا أمير المؤمنين .

والرسول ﷺ أعطانا هذا المثل في كل أمر :...فمن أراد أن يصون حريمه ماذا يفعل ؟ .... قال .... :

{ عِفُّوا تَعِفَّ نِسَاؤُكُم }[2]

وهذه سنّة الله التي لا تتخلف في كل زمان ومكان ، ما دامت السموات والأرض إن شاء الله ....

إذاً الأخلاق التي كان عليها العرب في الجاهلية قبل الإسلام هي التي جعلت الله عز وجل يجتبيهم ويختارهم لتبليغ دينه ، وهذه هي القضية التي أريد منكم أن تعرفوها ، لكي تردوا على من تحدّث في ذلك ، لأن بعض الجهال يقولون:..لماذا اختار الله العرب ؟ والجزيرة العربية ؟ ليكون الرسول فيهم ؟

لأنهم مؤهلون لنشر هذا الدين : لأنهم كانوا متمسكين بالكمالات والأخلاق العظيمة التي يحبها الله عز وجل من عباده .... ولو كانت الرسالة تحتاج إلى السلاح ؛ لكان أعطاها لقيصر أو لكسرى.

---

[2] المستدرك على الصحيحين للحاكم عن أبي هريرة

جمال أهل الكمال

ولكن السلاح الفعال الذي يفعل فعل السحر في إدخال الإيمان في قلوب الرجال هو الأخلاق الإلهية:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ (الآية ١٥٩) آل عمران

فقد جهزهم الله إن كان أهل مكة أو أهل المدينة أو أهل الجزيرة العربية كلهم بالأخلاق التي كانوا عليها وقد حافظوا عليها مع أنهم كانوا في الجاهلية وسلموها لنا ... فأين من حافظ على هذه الأخلاق؟

إننا نحافظ على الشكليات ...وكذا على الصلاة والصيام وزيارة بيت الله لكن أين الكمالات التي كان عليها أصحاب رسول الله؟!...وهذا ما يحتاج إلى الهمة العالية والعزيمة الماضية والمجاهدات الشديدة الراقية من أجل أن نصبح كما قال الله:

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة الواقعة

ونستطيع أن نلحق بهؤلاء بأن نكون على هديهم :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

ولو بحثت في سير الصالحين السابقين واللاحقين أجمعين ، تجدهم قد حصلوا هذه المنازل ، بالتجمل بأخلاق من السلف الصالح وأخلاق سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم، وقد نالوا بذلك الكمال وليس بالمسابح أو بالعدد ولكن بالمدد .

فلا يجاهد بذكر اسم اللطيف مائة وعشرين مرة ، ولكن يجاهد نفسه أن يكون لطيف مع عباد الله كما كان حبيب الله صلى الله عليه وسلم ، ويتجمل بـــالأخلاق المحمدية في كل المواطن ، وكلما تخلق بخلق نزل عليه إرث هذا الخلق من كنوز الفضل المحمدي، فإذا تجمل بالصدق خلع الله عليه رتبة الصديق:

{ لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً }[٣]

وبذلك يأخذ هذه الرتبة ، وإذا تحلى بالأمانة جعله الله عز وجل أميناً علـــى أسراره وخازناً لأنواره ويأتمنه على أسرار الحضرة، أسرار كتاب الله، وأسرار الأقدار التي يقدرها الله وذلك لأن الله وجده أميناً فائتمنه على أسراره التي لا تهـــدى إلا في حينها إكراماً له لأن الله يكرم عباده الذين يتخلقون بأخلاق حبيبه ومـــصطفاه، وإذا جمله الله بصفاء النفس وطهارة القلب أكرمه الله عز وجل وجعله يـــشهد عـــالم الطهر وعالم النقاء والصفاء وهو على تراب هذه البسيطة قابع بين من هنا ومن هناك، وإذا أكرمه الله عز وجل وعمل بقوله:

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ (الآية (٩) الحشر) ،ويقول الحبيب :

{من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه }[٤]

وتخلق بخلق الكرم المحمدي فتح الله عز وجل له كنوز الكرم الإلهي وأكرمـــه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مـــن العطـــاءات الربانيـــة والخصوصيات الإلهية من كنوز الكريم عز وجل، وإذا أكرمه الله بالوفاء وكان وفيـــاً

---

(٣) مسند أحمد بن حنبل وصحيح ابن حبان عن عبدالله .

(٤) صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

حتى مع الأعداء كما كان سيد الأنبياء وفّى الله عز وجل له بما وعد به عباده الصالحين وأحبابه من النبيين والمرسلين ودخل في قول الله (الآية (٢٣) الأحزاب):

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾

إذاً وراثة الأحوال ووراثة الأنوار ووراثة النبوة لمن تخلق بأخلاق رسول الله واجتهد أن يكون على منهج أصحابه رضوان الله عز وجل عليهم أجمعين وهذا هو المنهج الذي اختاره حضرة النبي واختاره الصحابة والتابعين وتابع التابعين والأولياء والصالحين إلى يوم الدين....ماذا أفعل؟

أفتش في نفسي ؟؟؟
وأزن نفسي بحبيب الله وأصحاب رسول الله ؟؟؟.
وأرى أين أنا منهم .؟؟؟
ولن يظهر أحد لك ما عندك لكنك أنت الذي تبين لنفسك !

{طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس}[٥]

فلو ذهبت للطبيب الجسماني وأنت تعاني من مرض ولكنك تكابر وتنكر أنك مريض هل تستجيب أو تنتفع بالطبيب؟... ..لا ....

ولكن عليك أن تعرف ما عندك .. كيف أعرف؟....أزن .. أرى أحوال حضرة النبي وأحوال الصحابة الكرام ، وأزن نفسي بهم وأحاول أن أُصلح من أخلاقي

(٥) شعب الإيمان للبيهقي ، وحلية الأولياء عن أنس بن مالك .

، واحداً تلو الواحد ......وأبدأ أولاً بالنقاء والصفاء للنوايا والطوايا والقلب وهــذا هو الأساس الأول والمحرك :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (الآية (٤٧) الحجر)

ويكون ظاهري كباطني.، ومن كان حول رسول الله صنفان:

صنف منهم ظاهرهم كباطنهم والصنف الآخر يظهرون خلاف ما يبطنون وقد قال في هؤلاء :

{إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يلقى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه}[٦]

وهذا نفاق ....

ومن يكون على هذه الشاكلة فحتى لو جلس مع المؤمنين أبد الـدهر ، هـل سيكون منهم؟................لا ....

فيلزم أولاً :

◐ أن أطهرَّ باطني من أوصاف المنافقين ويكون ظاهري كبـاطني ... صـفاء ونقاء وجمال ونور وبهاء.

◐◐ وأتخلص بالكلية من حب الظهور والعجب والرياء لأن هذه الـصفات لو ظلت معي فلن أتحرك قدر أنملة في طريق الله عز وجل أو في القرب مـن سـيد

---

(٦) صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

الأنبياء ، طالما أريد أن أظهر وأفرح عندما يثني الناس عليَّ أو أعجب بنفسي عنـــدما أعمل أي عمل ، فلا بد أن أتخلص من هذه الآفات في البداية.

ثم بعد ذلك أكمل أخلاقي .

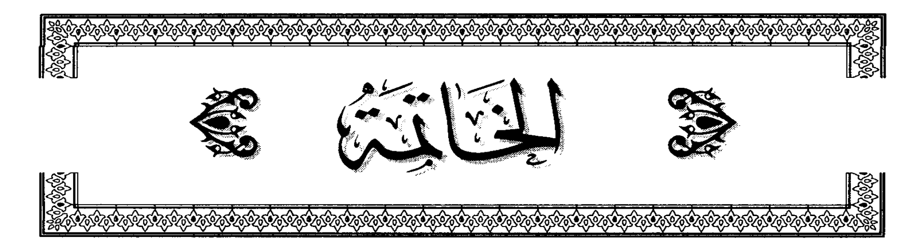
هذه باختصار شديد هي الروشتة التي كان عليها:

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (الآية ٢٩ الفتح)

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجملنا بجماله وأن يكملنا بكماله وأن يجعلنا من أهـــل وده ووصاله وأن يفتح لنا كنوز عطائه وفضله ونواله وأن يجعلنا في الدنيا من عبـــاده المكرمين وفي الآخرة من أهل النظر إلى حضرته أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد

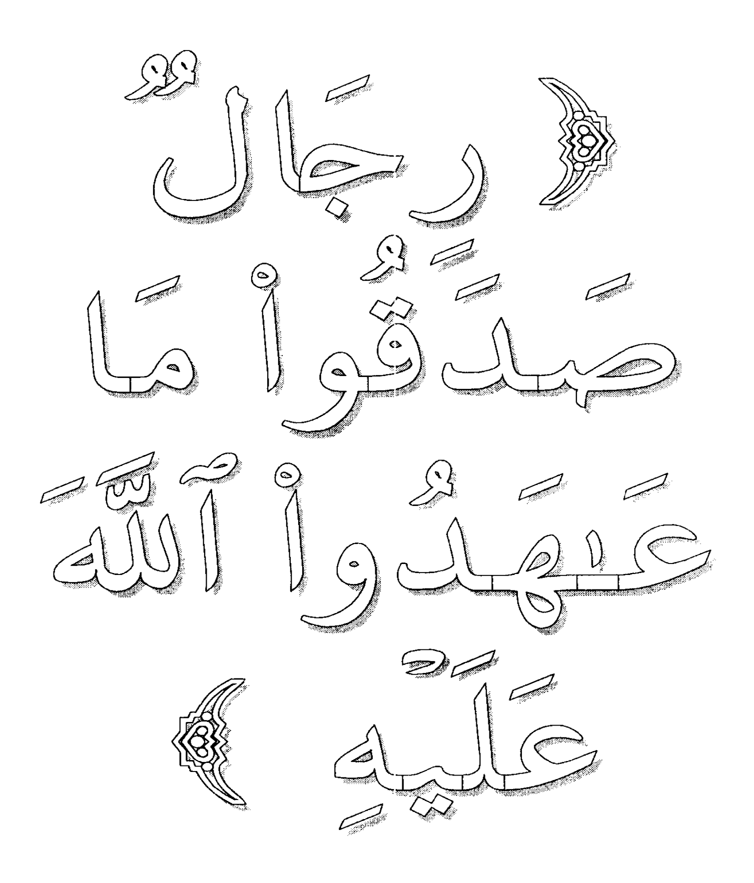
وعلى آله وصحبه وسلم.



منهاج الوصول[*]

- همم الرجال
- الإقتداء بالرجال
- مشارب الرجال
- منهج الصالحين
- أدوار المقربين

(*) كانت هذه المحاضرة صباح يوم الجمعة ١٤ من ذي القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ١٦من ديسمبر ٢٠٠٥م بمنزل المهندس سعيد فهمي الأشقر بمدينة الزقازيق قبل صلاة الجمعة.


﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

همم الرجال

لا بد لكل رجل من همة في فؤاده ، وباعث في قلبه يدعوه إلى السير الحثيث في عالم اللطف والمعاني إلى مولاه، حتى يتحقق له مراده، ويصل إلى بغيته، فتتوالى عليه الأنوار، وتتوارد عليه الأسرار...

كيف يتم ذلك؟

كل رجل من الأواخر لا بد وأن يكون أمام ناظري قلبه وأمام عين بصيرته رجل من الأكابر من الأوائل يقتدي به ويسير على منواله ، ويُجمِّل نفسه بحاله ويخلق نفسه بأخلاقه ، وينظر إلى المنهاج الذي وصل إلى الله عز وجل به فيعض عليه بالنواجذ ، ويمشي عليه به .

ولن يصل واحد إلى الله بغير منهاج ، ومن يريد الفضل العظيم يجب أن يُظهر للمولى الكريم جميل نواياه وعظيم طواياه ، ويبذل ما في وسعه ليرضي حضرة الله والله عز وجل يتم المراد بجميل عطاياه وكريم جدواه .. لكني أريد أن أنام وأبغى أن أدون في سجل العظماء !!!

أيجوز ذلك يا إخواني؟

رجل يزوغ في العمل ويزوغ من تحمل التبعات والمسئوليات أيليق به أن يرجوا مكافأة على إجادة العمل مع المجدين والمثابرين والمنتظمين في العمل؟...وحتى ولو كان هذا يجوز في عالم الدنيا فإنه لا يجوز عند أحكم الحاكمين لأنه قال عز شأنه :

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ (الآية (٤٦) فصلت)

فيجب أن يكون كل رجل على قدم رجل ، ويجوز لبعضنا أن تضحك عليه نفسه وتأخذه العزة بالإثم ، ويقول لماذا أتشبه بأبي بكر أو عمر أو عثمان؟

ولماذا لا أتشبه بحضرة النبي مباشرة؟.....نقول لمثل هذا:

عليك أن تتشبه أولاً بالرجال ، ثم بعد ذلك يوصلك الرجال إلى سيد الرجال وإمام أهل الكمال صلى الله عليه وسلم.

هل يوجد من يدخل على رئيس الجمهورية مباشرة؟....لا بد أولاً من رئيس الديوان أو غيره ليهيؤه ويجهزوه إلى أن يدخلوه! ..أم سيأتي من الشارع ويدخل عليه مباشرة.. لا يجوز ذلك:

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً ﴾ (الآية ٢٣ الفتح)

وهل يوجد فينا من يصلح أن يكون قلامة ظفر في أبي بكر الصديق ، أو شعرة في بدن عمر بن الخطاب، ومن منا يستطيع أن يصل لهؤلاء الفحول.

الإقتداء بالرجال

فلا بد للرجل أن يرى رجلاً من هؤلاء الرجال ويمشي على منهاجه:

ويرى سيره إلى الله ، وسلوكه مع خلق الله ، وأعماله التعبدية ومجاهداته النفسية والقلبية ، ويمشي على هديها لأنها حكمة الله .. كل رجل على قدم رجل .

وكان الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه عندما يدخل أضرحة الصالحين المنتقلين السابقين ، كان يبين منازلهم :...وعلى سبيل المثال عندما دخل على سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ وأرضاه وأخذ بوصفه بكلام يطول سرده وشرحه في نهايته قال:

أن كل المنح والعطاءات التي أخذها هذا الرجل من: عليه أبو ذر الغفاري قد أملى ، فكل الفتوحات التي عنده أملاها عليه أبو ذر ، أي أنه كان على منهج أبي ذر ، وهذه حقيقة لأن سيدي إبراهيم الدسوقي لم يكن له نصيب في الدنيا كسيدنا أبي ذر ، لأنه كان على قدم المسيح عيسى بن مريم ، فإن كل صحابي على قدم نبي ، وكل ولي على قدم صحابي ، وسيدنا أبو ذر قال فيه ﷺ :

{ *من أراد أن ينظر لعيسى بن مريم* - وفي رواية - *إلى شبيه عيسى بن مريم في أمتي فلينظر إلى أبي ذر* } (المعجم الكبير للطبراني عن عبدالله بن مسعود)

وكذلك سيدنا إبراهيم الدسوقي ، فإنه لم يتزوج ولم يبحث عن وظيفة ، ولكنه دخل الخلوة وهو ابن سبعة عشرة سنة ، ولم يخرج منها إلا عندما بلغ تسعة وعشرين سنة ، وخرج من الخلوة إلى الجلوة يدعوا خلق الله إلى الله ، وتفرغ حتى قبض إلى حضرة الله بعد أن بلغ ثلاثا وأربعين عاماً ،.

وقد يكون معظمنا تجاوز هذه السن ، ولكن ماذا قدمنا وماذا فعلنا؟....لا شيء... لأنا نريد أن نعمل لأولادنا، نبني لهم بيت أو نزوجهم أو خلافه .. إذاً دعونا مع أولادنا .. لكن لأنفسنا ماذا فعلنا؟....لا شيء ومنتظرين بعد ذلك كما يقول إخواننا أهل الفضل ... بالفضل يا سيدي من غير مجهود ... من الذي قال ذلك؟

إن بالفضل يا سيدي من غير مجهود يعني :....أن أبذل كل مجهود ثم أقول له إن ما أعطيته لي بفضل منك وليس بمجهودي ولا أرى مجهودي الذي بذلته

ولكني أرى فيه توفيق الله ومعونة الله .. لكن البعض أخذ ذلك على أنه لا يبذل أي مجهود وتنهال عليه العطاءات من عند الله ... كيف يكون ذلك؟

إن الرزق المحسوس الدنيوي ، لا يأتي إلا بعد جهاد وسعي ومجاهدة ومكابدة .. هل هناك من يمشي ثم يضرب الأرض برجله فيخرج له كنز؟....لا......!

بل لا بد من العمل والسعي... كيف إذاً يطلب العطاءات والفتوحات من الله مع الكسل ومع الزلل ومع التواني والتقصير في العمل ؟وهل ذلك يصح ؟..لا .

مشارب الرجال

تلك سنة الله من بدء البدء إلى نهاية النهايات ..

لأنها مشارب :

فهذا المشرب كان فيه نبي الله ، وتوارثه من الصحابة الكرام فلان ، ومن بعده من الصالحين فلان وفلان وفلان إلى يومنا هذا ، ولو جمعت رجال هذا المشرب في ديوان تجدهم كلهم ينطبق عليهم قول حضرة الرحمن :

﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (الآية ٢٣ الأحزاب)

وكل هؤلاء الرجال على اختلاف أحوالهم وترتيبهم وتصنيفهم وتنوع مشاربهم اتفقوا على أمر واحد :

أنهم باعوا أنفسهم لله ، وجعلوا حياتهم وتوجهاتهم وأعمالهم وجهادهم كله لله ، لا لأنفسهم ولا لأولادهم ، كلهم ولا خلاف في هذا الأمر .

ونتيجة لصدقهم لو نظرنا في سيرهم وطالعنا في حياقم نجد أن الله تولى بذاته وليس بواسطة أسبابه وملائكته قضاء حاجاقم ، فمن كانوا على منهج أو على قـــدم سيدنا عيسى فإنهم لم يروا سيدنا عيسى ولكنهم رأوا سيدنا أبو ذر كيف كان جهاده؟ وماذا كان يعمل؟ وكيف كان حاله مع الله؟ وما هي أوراده وأذكاره؟

لا بد أن يسيروا عليها ولا يوجد من يدخل بغير باب ... إذاً ما هو بابك؟.....إنه الرجل الذي اخترته ، واخترت المشي على هديـــه وعلى نهجه ، لا بد وأن يكون لك إمام تمشي على منهجه ، ومن غير ذلك يا إخواني ، كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ في ذلك:

"من لا ورد له لا وورد له"

فمن أين يأتي له الفتح؟ ومن أين يأتي له الورود؟

منهج الصالحين

فيجب أن يكون لك منهجاً تسير عليه

وهذا المنهج منذ أن تستيقظ من النوم إلى أن تنام :

إذا كان في العبادات أو المجاهدات ، وكما قلنا الاتفاق الأول ، أن أكون كلي لله عز وجل، وهمي كله منذ أن أصبح في رضاه .

أما طلباتي وطلبات عيالي .. إنما على الله ولا شأن لي بـــذلك. ،. فعلـــي أن أجاهد في رضاه وهو عز شأنه يتولى قضاء حوائجي بما شاء وكيف شاء وهـــذا نهـــج

الصالحين ، أما من يبحثون عن أنفسهم وعن أولادهم وعن يومهم فإن هذا ليس بنهج المؤمنين ، ولكنه نهج طائفة أخرى ربنا نعى عليهم والحبيب صلى الله عليه وسلم أشار إليهم حتى نتجنب أن نسير في طريقهم ونتزلق في السير على منهاجهم لأنه منهج لا يرضاه الله ولا يحبه حبيب الله ومصطفاه .

إن نهج الصالحين واضح ولا فصال فيه وكما قالت السيدة رابعة: "عليَّ أن أعبده كما أمرني وعليه أن يرزقني كما وعدني"....وهذا هو نهج الصالحين، هل معنى ذلك ألا أسعى للرزق؟.......أسعى ولكن سعي رفيق مجمل بالعزة الإيمانية: **"اتقوا الله وأجملوا في الطلب"**...بجمال العزة وجمال الإيمان وجمال مراقبة حضرة الرحمن – لكن هل يصح أن أدخل مع الكلاب؟....لا يصح لمؤمن أن يدخل مع الكلاب ... مصداقاً للحديث الذي يقول :

{ *الدنيا جيفة وطلابها كلاب* }[1]

فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وهذا كلام سيدنا الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه .

وأهل الإيمان يتجملون بالرقة والحنانة دائماً ....، ولا يتصفون بالغلظة والقسوة وليس لهم أظافر أو حوافر ....، ولا يستطيع أحد منا...... أن يدخل في دائرة هؤلاء الغلاظ الشداد ،.

وقد أشار الله لنا ألا شأن لكم بالكلاب ، فسآتي لكم بالرزق بغير حساب وأنتم قعود على المحراب ، تسبحون الله عز وجل في الصباح والمساء والغدو والإياب ،....... ماذا تريدون غير ذلك؟

---

(١) أخرجه أبي نعيم في الحلية ، وابن أبي شيبة عن يوسف بن أسباط عن علي ، وذكره السيوطي في الدرر وأبو الشيخ في تفسيره عن علي بلفظ " الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر علي مخالطة الكلاب " .

فلا عليكم إلا السعي الرفيق البسيط مع العزة الإيمانية ... وإذا إنزلق الإنسان في المهاوي التي ذكرناها ، سيجد من يضربه من هنا أو من هناك ، أو مـــن ينـــهش في عرضه ، ويدخل في صراعات ليس له فيها / ولكن أهل الإيمان في حصن الـــرحمن عز وجل ... يقول فيهم في حديثه القدسي :

((أوليائي تحت قبابي لا يعلمهم أحد سواي))

ما حالهم يا رب ؟

قال: يجعل لهم من كل هم مخرجاً ويرزقهم بغير حساب.، ولن يرزقهم الطعـــام والشراب فقط ، ولكن مع ذلك العلم والحال والأنوار والإلهام والفيوضـــات وكـــل شيء بغير حساب ، لأنهم ساروا على منهج الحبيب المـــصطفى صلى الله عليه وسلم وعلية الأصحاب ومن تابعهم من الأولياء الكرام والأحباب إلى يومنا هذا....

أدوار المقربين

فيجب على المؤمن أن يبحث له عن دور ، فمن يريد أن يكون ممثلاً يبحث عن فرقة مسرحية على حسب ميوله ، إن كانت فرقة كوميدية أو فرقة تراجيدية ويطلـــب منهم نص المسرحية ليقرأها ويختار منها الدور الذي يناسبه ، والذي يستطيع أن يبدع فيه ويتقن فيه .. والمسرحية الخاصة بنا هي:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (الآية ٢٩) (الفتح)

فيقرأ الإنسان هذه المسرحية ، ويختار الدور الذي يتناسب مع قدراتـــه ومـــع إمكانياته ، والذي يستطيع أن يمثله على مسرح هذه الحياة ، ليجذب الخلـــق إلى الله ويبين لهم جمال دين الله وكمال حبيب الله ومصطفاه ، فيندفع النـــاس إلى ديـــن الله أفواجاً ...هذه هي القضية يا إخواني ، وليس الموضوع أن آخذ ورد مائة ألف وأقفـــل على نفسي الباب ، وأعد على الكريم الوهاب ... فإن الله لا يريد مثل هذا ولكنـــه يريد ممثل يمثل دور الأولين الذي يقول فيه ([الآيتان(١٣-١٤) الوقعة) :

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

وقال قليل لأن هذا الزمان كثر فيه من يمثل دور عبدالله بـــن أبي وجماعتـــه ، وهم كثير .. وكذلك كثر من يمثل دور أبي جهل وأبي لهب لكن من سيمثل دور:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾

في هذا الزمان؟

قليل ، وقد تكون المسرحية لا تستدعي إلا واحد لكل دور ... حـــتى أنهـــا لا تتطلب واحد احتياطي .. لماذا؟ ....لأنهم بالكاد عدد قليل ، فعلى الإنـــسان أن يبحث عن هذه الأدوار ويعيش الدور يعيشه في حياته ، فإذا أخذت دور واحد مـــن أصحاب رسول الله عليك أن تعيش هذا الدور ، مثلاً إذا اختار واحد دور أبي بـــن كعب ، فعليه أن يجود القرآن ويحفظ القرآن ، ويتعلم القـــرآن بـــالقراءات الـــسبع والعشر ، لأن حضرة النبي قال فى الحديث المعلوم : {أقرأكم أبي بن كعب} .

وهل أقف عند ذلك؟

لا بل عليه بعد أن يتقن ذلك ، أن يعلّم غيره طلباً لمرضاة الله وابتغاءا لوجـــه الله ، وليس من أجل الأجر والثواب فقط ، وإذا اختار واحد آخر دور معاذ بن جبل

عليه أن يبحث في الكتب ، ويفتش في أبواب العلم إلى أن يعرف كل مسائل الحلال والحرام ، ويتجنب الحرام على الدوام ، ويأخذ بالحلال مع الصبر الجميل على طول الأيام ، ثم يعلّم ذلك ، ويتفرغ في تعليم ذلك للأنام ؛ طلباً لمرضاة الملك العلام.

وإذا أراد آخر أي دور من أدوار أصحاب رسول الله : عليه أن يدرس هذه الأدوار ويعلمها ويعايشها ويعيش فيها ، لكي يكرمه الله ويتجلّى عليه بالمشاهد والفتوحات والتوجهات التي توجَّه بها لأهلها السابقين أجمعين .

ولا يوجد دور إلا وهو موجود في هذه المسرحية ، حتى دور الخادم وكان سيدنا عبدالله بن مسعود وقد كان يمسك عصا سيدنا رسول الله ويضع الحذاء في كمه لكي لا يضيع ويحضر الوضوء والطهارة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان دوراً مهماً وكل دور نحتاج أن نعيشه لكي نكرم بإكرام الله ، ومن ليس له دور يصبح متفرجا وكم يأخذ المتفرج من الأجرة ؟لا شيء بل عليه أن يدفع ،

والأجرة عندنا هي : فتح ، وغنائم ، ومكارم ، ومشاهد ، وإلهامات، ونفحات ربانيات .وهذه هي الأجرة وليست الأجرة دراهم فانية..!! .. وقد كانت أجرة رسول الله وأصحابه (الآية ٤١ الأنفال)

﴿ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

تاريخ ومحل الميلاد :

١٨/ ١٠/ ١٩٤٨م ، الجميزة – مركز السنطة – محافظة الغربية

المؤهل :

ليسانس كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٠م .

العمل :

مـدير عام بمديرية طنطا التعليمية .

النشاط :

يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية ، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى : ١١٤ ، شارع ١٠٥ ، حدائق المعادى بالقاهرة ، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

يتجول فى جميع أنحاء الجمهورية ؛ لنشر الدعوة الإسلامية ، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية ، بالحكمة والموعظة الحسنة .

بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة المجد الإسلامى ،

والتسجيلات الصوتية و الوسائط المتعددة الملتيميديا للمحـاضرات ، و الدروس ، و اللقاءات ، على الشرائط و الأقراص المدمجة .

وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت :

WWW.Fawzyabuzeid.com

دعـوته :

يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين ، والعمل على جمع الصف الإسلامى ، وإحياء روح الإخوة الإسلامية ، والتخلص من الأحقاد ، والأحساد ، والأثرة ، والأنانية ، وغيرها من أمراض النفس.

يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية ، بعد تهذيب نفوسهم ، وتصفية قلوبهم .

يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين ، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن ، وعمل رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وأصحابه الكرام .

هدفه :

إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية ، ونشر الأخلاق الإسلامية ، وترسيخ المبادئ القرآنية .

وصلى الله على سيدنا محمد على آله و صحبه و سلم

تم بتوفيق الله ومعونته

فهرس

